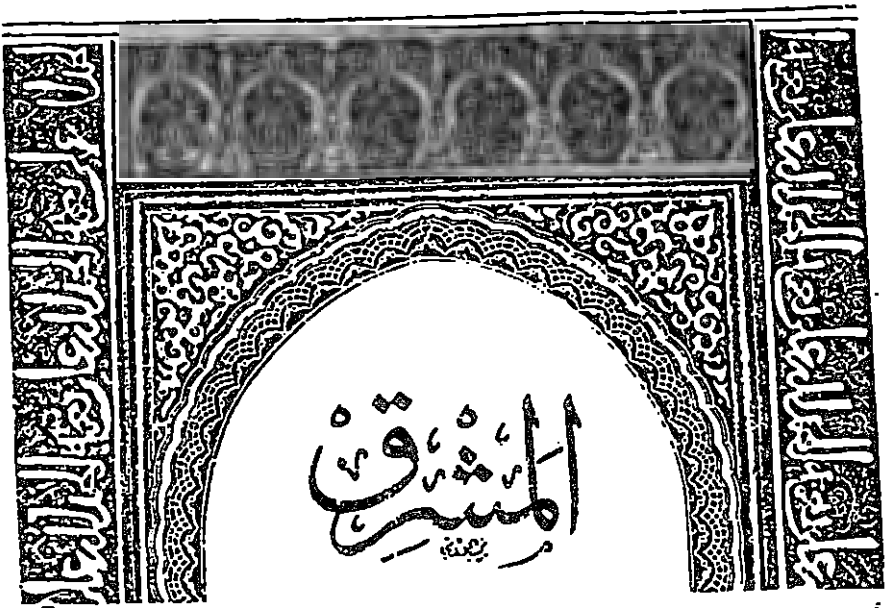

السنة الثلاثون

نيسان ١٩٣٢

في اتّهام الكنيسة بالاستبداد

للاب ارمند اودين ، احد كهنة قلب يسوع الاقدس (الناصرة)*

كثيراً ما نسمع بعض الناس يتشكون من استبداد الكنيسة الكاثوليكية بقوانينها واحكامها . وليس هؤلاء المتشكون من خصوم الكثلكة فحسب ، بل من ابنائها ايضاً . ولا عجب بذلك ، اذ ان استثقالهم بعض الشرائع الكنسية ، التي تحصر حرية تصرفهم في امور مختلفة ، قد جعلهم لا يدركون الدواعي الصوابية والغايات الضرورية التي سُنّت تلك الشرائع لاجلها .

فيفيد اذاً فحص تلك الامور التي توهم ذاك البعض ان الكنيسة تحرمهم فيها ما يحقّ لهم من استمتاع في الحرية . فان كنت منهم ، ايها القارئ الكريم ، ارجو منك ان تطالع هذا المقال باخلاص وتروٍ ، عساك تجد فيه ما يوضح لك ان روح الحكمة والاهتمام بخير المؤمنين هو الذي ارشد الكنيسة

* عني بتصحيح عبارته ، ونشره الفي اسطفان فرحات اللبناني

المتيسة الى سنّ تلك الشرائع التي توسّم فيها اولئك عيب الاستبداد والاغتصاب.

١

لماذا تمنع الكنيسة الكاثوليكية ابناءها عن الزواج من غير الكاثوليك ؟

نعم ان الكنيسة الرومانية المقدسة ، منذ زمان بعيد ، دوّنت في قوانينها تحريم هذا الزواج المختلط . وهي لا ترضى ان تأذن به الّا اذا احوجت اليه بواعث مهمة ، وتأمر رعاة النفوس ببذل جهدهم في اقناع المؤمنين بالامتناع عن هذا الزواج . وهذا مما يستغربه الكثيرون . ولكن طالما اوضح الذين تقصّوا في درس هذه المسألة ان الزواج المختلط يجلب عواقب مكروهة ، فيها ما يكفي لتبرير خطة الكنيسة ، في هذا الامر ، من ذلك الاتهام.

فاعتبر اولًا ان المحبة المتبادلة بين الزوجين هي من اهمّ واجباتهما ، ومن الزم الشروط لسعادة عيشتهما ، وهي صعبة على اللذَين يختلف مذهبهما . لان هذا الاختلاف كثيرًا ما يحدث المجادلات العنيفة ، والتنافر ، واستثقال المساكنة ، وربما حمل احد الزوجين على اغاظة الآخر بابداء ازدرائه بالامور التي يحبها — هذا الآخر — مقدسة ويكرمها كالهية . كما يحدث مثلًا اذا استهزأ بروتستاني بتعبّد الكاثوليكي لوالدة الله مريم ، واثار القديسين ؛ او اذا تهكّم ارثوذكسي بالحبر الروماني الذي يجلّه كل كاثوليكي ، ويحترمه كنائب السيد المسيح . وقد يستقبل احد الزوجين في البيت بعض معارفه من اتباع مذهب فيتحادثون في الامور الكنسية او الدينية ، بغير مراعاة لاحساسات الزوج الآخر ، فيساء هذا كل الاساءة ، وربما تولّد في قلبه من الحقد والبغض ما يحمله على مفارقة قرينه . على انه لا تنحصر في ذلك مضارّ الزواج المختلط فحسب ، بل من تبعاته المخشاة ايضاً انسلاخ الكاثوليكي عن الكنيسة الرومانية وخسران ايمانه . وذلك يكون ، لا محالة ، إمّا مما يسمعه من قرينه من انتقاد الكثلكة ، والاعتراضات على تعاليمها ؛ واما من استصعابه الثبات في دين يرى انه عاة خلاف بينه وبين قرينه الذي يرغب في ارضائه ؛ واما مما

يبديه هـذا القرن من العذابات والتجارب لقرينه ، قصدَ اقتياده الى تغيير مذهبه . أفتحسب هذه الاخطار امرًا طفيفاً لا ينبغي المبالاة به ، ام تعترف بان الكنيسة أصابت كل الاصابة في اهتمامها بمنع المؤمنين عمَّا يجلب عليهم نتائج سيئة كهذه ؟

ماذا تقول ، اذا زدنا على ذلك اعتبارًا آخر قد يحدث لبني الزوجين المختلفي المذهب ، فانه لا يخفى ان تربية الاولاد الحسنة تقتضي تهذيبهم في الدين الحقيقي . وهذا الشرط الجوهري قلّما يرجى ان يتمّ حينما كان احد الوالدين منفصلًا عن الكثلكة ، بل يخشى كثيرًا ان يرفض تربية بنيه الَّا في دينه هو . وزد ايضاً ان الوالدين لا يكادان يقدران على القيام بواجب التربية قياماً جيدًا ، ان لم يكن بينهما محبة ووفاق ، وهذان يصعب وجودهما بين شخصين لا يتحدان في الايمان وفي طرق العبادة .

فحسبك هذا التبيان الموجز ، لتفهم ان الزواج المختلط هو مجلبة شرور عظيمة ، واذن فلا عجب لماذا استكرهته الكنيسة المقدسة ، واستعملت سلطتها السامية لمنع المؤمنين عنه .

٢

لماذا لا تسمح الكنيسة لنا بالاشتراك في صلوات غير الكاثوليك ، وباستماع مواعظهم ؟

ربما تستغرب هذا النهي ، ايها القارئ الكريم ، وتلفيه مضادًا لروح المحبة والتساهل الذي ينبغي ، على رأيك ، ان تزدان به كنيسة المسيح . ولكن تأمّل قليلًا في النسبة التي هي بين الكنيسة الحقيقية والجماعات الدينية المنفصلة عنها ، ترَ بسهولة ان هذه القوانين عادلة وكلّية الصواب ، ولا اثر فيها للاستبداد . لان الكنيسة الكاثوليكية توقن انها ، وحدها ، كنيسة المسيح الحقيقية ، وان الكنائس الاخرى التي انسلخت عنها بالتمرّد على سلطتها ان هي الَّا شيع غير شرعية . واعتبر ، من جهة اخرى ، ان من يشترك من الكاثوليك في احتفالات غير كاثوليكية يُظهر انه متحد مع اصحابها في عبادة الله . لكن هذا الاتحاد بالذين عصوا السلطة الكنسية هو اغاظة الله تعالى .

كما يجري في كل جماعة مدنية مثلاً: اذا انفصل قوم عن الحكومة الشرعية ، واقاموا حكومة جديدة ، أفهل يجوز لك ان تخضع لهذه الحكومة ، او تشترك في اجتماعات الذين يتبعونها ؟ كلّا ، فانك اذا فعلت ذلك شاركت اولئك في عصيانهم ، وصرت مذنباً مستوجباً القصاص لدى الحكومة الشرعيّة. كذلك اقام الله سلطة روحية واحدة لتدبير جميع المؤمنين في الامور الدينيّة ، وهي السلطة البطرسية التي يخضع لها الكاثوليك ، فكيف يباح اذاً للكاثوليك ان ينضموا ، في الافعال الدينيّة ، الى الذين عصوا هذه السلطة ؟ فبكلّ عدلٍ وصواب تنهاهم الكنيسة عن هذا الانضمام ، اي عن مشاركة غير الكاثوليك ، ايّاً كانوا في الطقوس الالهية.

وزدْ على ذلك ان هذه المشاركة لا تخلو من خطرٍ على المؤمنين ، لان هؤلاء ، اذا أُذِنَ لهم بالاجتماع مع غيرهم ، لا يبعد ان يتوهموا ان الفرق الذين بينهم وبين المنفصلين هو عرضي فقط ، فلا يهمّ اذاً ان يكون هؤلاء من اعضاء الكثلكة ، ويعبدون المسيح خارجاً عنها . ويحتمل ايضاً ان يوجد في صلوات المنشقّين عبارات منافية لبعض العقائد الكاثوليكية . واذن فمن الواضح ان الاشتراك في مثل هذه الصلوات يكون مجلبة شكٍّ لكثيرين من الكاثوليك ، ولاسيما البسطاء منهم ، فيفترون في الدين رويداً رويداً ، وربما أمسوا ملحدين.

٣

لماذا لا تسمح الكنيسة للمؤمنين بقراءة التوراة التي طبعها البروتستان ؟

الجواب ان المراطقة كثيراً ما زيّفوا نصوص الكتاب المقدس ، قصدَ ان يجدوا فيه اسناداً لاضاليلهم ، ويمحوا منه ما يضادّ آراءهم. فمن يضمن لك ، يا ترى ، ان هراطقة عصرنا لا يتذرّعون بالوسيلة عينها لاغراء الذين يأخذون الكتاب المقدس من ايديهم ؟ فالخطر اذاً موجود ، واذن فمن الواجب على الكنيسة ان تعتني بابعاده ، وتمنع المؤمنين عن مطالعة نسخ التوراة التي نشرها البروتستان ، ولهذا قد سنّت ان لا تُنشر ، ولا تباع بين المؤمنين ، اية ترجمة كانت للكتاب المقدس ، ما لم يكن نظر فيها الاساقفة الذين هم كفوء لصحة التراجم ، وامرت ايضاً ان تلحق بكلّ ترجمة حواشٍ تفسّر النصوص الصعبة

التهم ، لئلا يؤوّلها البسطاء تأويلاً فاسداً يُفضي بهم الى اغلاط جسيمة في عقائد الايمان ، او في الامور الدينيّة.

فاذا يظهر في كل ذلك من روح الاستبداد ؟ وما هو اصل تلك القوانين ؟ أهو غير اهتمام الكنيسة بصيانة المؤمنين من الاضرار الروحية التي قد تصير قراءة التوراة مجلبة لها ، لاحد السببين المذكورين : اعني التراجم المائلة ، والتأويلات الغير الصحيحة ؟

٤

على مَ تبني الكنيسة ادعاءها بانه يحق لها وحدها السيطرة على المدارس ؟

لا تظن ، ايها القارئ الكريم ، ان في نيّة الكنيسة حصر حرية الذين يريدون ان يفتحوا مدارس ، او ان يدرّسوا فيها ؛ ولم يقل قط الباباوات والاساقفة ان تعليم اللغات ، والحساب ، ونواميس الطبيعة ، والطب ، وحركات النجوم ، الى غير ذلك من العلوم البشرية ، يجب ان يناط بالسلطة الكنسية ويتعلّق باحكامها . ولكن لا تقتصر مهمة الاساتذة على القاء تلك العلوم ، التي لا ارتباط بين نتائجها وبين الحقائق الفائقة الطبيعة ، بل يُطلب منهم ايضاً ان يعلّموا الآداب والتاريخ . وجليٌّ ان ما يندسّ من الاغلاط في هذين العلمين لا بدّ من ان تتبعه نتائج مشؤومة ، اعني لغو بعض القضايا الادبية والدينية التي لا بدّ من الاقرار بها لصيانة حياة الانسان الروحية وابلوغه الخلاص الابدي . ومن امثال هذا ما يحصل اذا انكر معلمُ آداب وجوب عبادة الله ، او اذا ضرب صفحاً عن كل ما يجب على الانسان نحو خالقه ، او اذا حذف مدرّس التاريخ جميع الحوادث العجائبية ، التي فيها براهين على صحة الدين النصراني ، وحقوق الكنيسة الكاثوليكية . فهل يجوز لهذه ، اي الكنيسة الكاثوليكية ، ان تتغاضى عن هذا الخطر المهدّد ابناءها الاحداث ، الذين يُضلّهم اساتذتهم ويخسرونهم الايمان ؟ كلّا ، ثمّ كلّا ، فان يسوع المسيح أقامها لتعلّم جميع الامم في الامور التي تختص بمعرفة الله ، وعبادته ، ويتعلّق بها خلاص النفس . فيكون اذن من اقدس واجبات الرؤساء الكنسيين ان يراقبوا المدارس التي يتردّد اليها اولاد كاثوليكيون ، وان يمنعوا الوالدين المؤمنين عن ارسال بنيهم الى المدارس

التي لا يخلو فيها التعليم من خطر على فقد ايمان التلامذة وآدابهم ، وان يفحصوا الكتب الادبيّة والتاريخية المستعملة في تلك المدارس ، فيعلنوا عدم جواز مطالعة تلك الكتب التي تتضمن اغلاطاً ضدّ الايمان وقواعد الآداب السليمة.

وينطبق كل ما قلناه عن علم الآداب ، على الفلسفة . لانه لا يخفى ما يوجد من التعلّق والارتباط الوثيق بين المذاهب الفلسفية والعقائد الدينيّة ، ولاسيما ان اضاليل الفلاسفة تقوّض اركان الدين ، وتلقي باصحابها الى مهاوي الزندقة ، واباحة المنكرات.

أفتزعم ، بعد ما تقدم ، ان رعاة النفوس يتجاوزون حدود مهمتهم المقدسة ، حينما يرفعون صوتهم عالياً لتنبيه المؤمنين الى الاحتراز من خطر تلك المذاهب القبيحة ، ونهيهم عن قراءة الكتب التي تنشرها ، ودخول تلك المدارس التي تجرّع تلامذتها هذا السمّ الناقع ؟

فحسبك هذه الملاحظات البسيطة ايضاحاً لصواب ما فعلته الكنيسة حتى اليوم ، وما قررته في قوانينها من الشرائع لصيانة انفس الاحداث من الاضرار العظيمة التي تجلبها المدارس والكتب ، حيثما اختلط تعليمها باضاليل مهلكة ، في الموادّ الادبيّة ، والتاريخية ، والفلسفية.

٥

لماذا يريد الحبر الروماني ان يخضع لسلطته الاساقفة ، والمؤمنون باسرهم ، ويأمر الكهنة باستعمال كل الوسائط الممكنة لاجتذاب اعضاء الكنائس الاخرى الى حضن الكثلكة ؟ أفليس هذا النهج دليلاً على روح الكبرياء والطمع السائد في الكنيسة الرومانية ؟

هذا حديث قوم من الجهّال والمفترين يرسلونه مع هبّات النسيم ، فيلتقطه كثير من الاغبياء ، الذين لم يدرسوا قط مسألة الخلافة البطرسية . امّا انت ، ايها القارئ الكريم ، فلا احسبك محتاجاً الى تكرار البراهين القاطعة التي تثبت حقيقة هذه الخلافة . فالبابا موقن ، كما نحن موقنون ، انه هو راعي جميع المؤمنين ، بناء على الكلام الذي وجّهه السيد المسيح الى بطرس : « انت الصخرة ، وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي .. واعطيك مفاتيح ملكوت السموات .. ارعَ خرافي ، ارعَ غنمي . » فاسألكَ ، يا رعاكَ الله : ما هو

واجب الراعي الذي يرى بعض خرافهِ قد خرج من حظيرته ، وبذلك امسى عرضةً لطمع اللصوص وانياب الذئاب ؟ أليس هو ان يبذل جهده في ارجاعه الى الحظيرة ، اقتداء بابن الله ، يمن وصف نفسه بمثل الراعي الشفيق الذي ترك التسعة والتسعين خروفاً ، وسعى في طلب الضالّ ؟ واذن فهذا ما يفعله الحبر الاعظم من المساعي في سبيل اتحاد الكنائس ، وزوال الانشقاقات ، لانه عالم بان هذا الاتحاد لا يمكن تحصيله الّا بخضوع الجميع لمن عيّنه الله رئيساً عاماً على المؤمنين . ولهذا يرغب في ارتداد المنفصلين الى هذا الخضوع الواجب . فهمّ استدللت على ان ارادته هذه تصدر عن الكبرياء وحب الارتفاع ؟ أفهل تتهم بالكبرياء ابا العائلة ، اذا كان يعتني بارجاع ولده الذي عصى سلطته ، وغادر بيته ؟ وهكذا البابا ، فهو ابو جميع المؤمنين ، وان فؤاده يتفتت شفقةً على حال الذين انسلخوا عن وحدة الكنيسة . ولهذا يهتمّ باتخاذ كل الوسائط النافعة لارجاع اولئك الخارجين . ويحذو حذوه المرسلون ، وسائر الكهنة ، الذين يعيشون في بلاد المنفصلين ، فانهم يتفانون في سبيل ارجاع اولئك الى حضن الكثلكة رغبة في خلاص نفوسهم ، لا طمعاً في الاغراض الزمنيّة . ومن محض الافتراء اتّهامهم باتخاذ الحيل لمخاتلة البسطاء ، واستمالة الناس بالوعود الكاذبة ، وما اشبه من الوسائل الغير الحميدة . فانهم يعملون الحق ، وينيرون الاغبياء ، ويحرّضون سامعي كلامهم على الاهتمام بخلاص نفوسهم . واذن فايّ مبدأ لمساعيهم هذه ؟ واية قوة تنعشهم وتحركهم ؟ أهي غير المحبة التي من اعمالها الاجتهاد في تهذيب الجهّال ، وهداية الغاوين الى سبيل الحقّ ؟ وهذه المحبة عينها هي التي حملت الرسل ، في كل آن وأين ، على المخاطرة بانفسهم ، ومكابدة المتاعب ، ومقاساة الشدائد ، لتنصير العالم الوثني ، عملاً بقول السيد المخلص : « اذهبوا وتلمذوا الامم » . أوَليس معنى ذلك ارشاد الناس الى الدين الحقيقي ؟

واذن فمن محض الافتراء اتّهام الكنيسة بالاستبداد ، ورئيسها وكهنتها بحبّ السلطة . فانهم يواصلون العمل الالهي الذي بدأه المسيح نفسه ، ورسله الاطهار على الارض .

صناعة الحجر في لبنان

نبذة

بقلم انطوان باز

المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

الرخام

حجرٌ كلسي طبختهُ الاجيال فجاء سكري المكسر ، جميل المنظر ، خصوصاً اذا صقل فاصبح وجهه لمّاعاً كالزجاج !

اكثر الرخام الابيض ، ومنه ما اشتدّ بياضه فاستُخدم للنقش ، او ازدانت به صحون المنازل والقصور ، ومن الرخام ما تضلّع بالازرق او البرتقالي او الاسود ، فكان له رونقه وبهاؤه .

ومن الاحجار الكلسية المرمر ، وهو كثير في بلادنا ، واشدّ صلابة من الرخام ؛ ولونه ابيض ممزّج بالبرتقالي .

اما الغرانيت فهو حجرٌ بركاني شديد الصلابة استخدمه الاقدمون فعملوا منه تلك الاعمدة الضخمة السوداء المنتشرة في سواحل فينيقية .

مظهر الصناعة في بلادنا

كانت بلادنا قبل الحرب تستخدم في البناء الحجر الرملي ، والحجر الكلسي العادي ، وفي وسط الدور ، المرمر او الرخام ، تستورده من ايطالية ، بقياسات مختلفة . ومهما كان الحجر المستعمل ، فانه كان يكسر ويساوى بالمطرقة والازميل . اما جليه فكان يتمّ بان يحمل الحجر منه فوق الآخر ، فيحكّ عليه بواسطة الرمل والماء ، وهي طريقة اولية تستغرق وقتاً طويلاً ولا تأتي باللمعان الكافي .

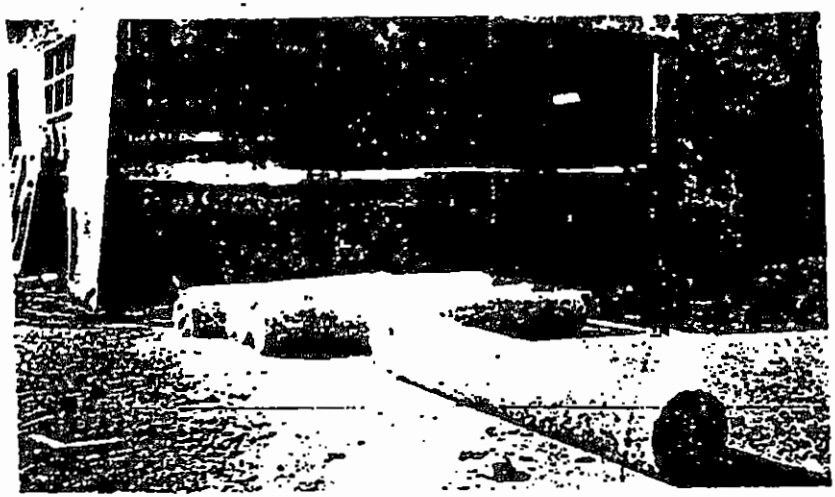

الرسم ١ – بعض الاعمدة المرمرية قبل شغلها

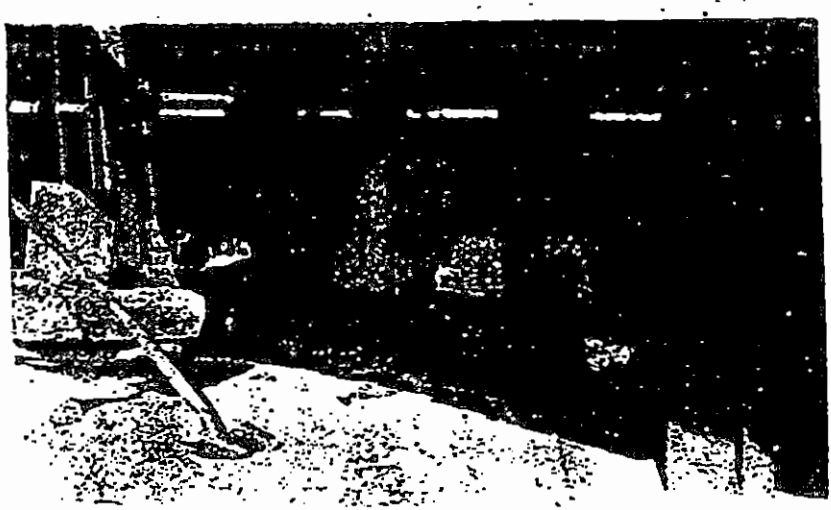

الرسم ٢ - آلة النشر

الرسم ٣ – آلة الجلي

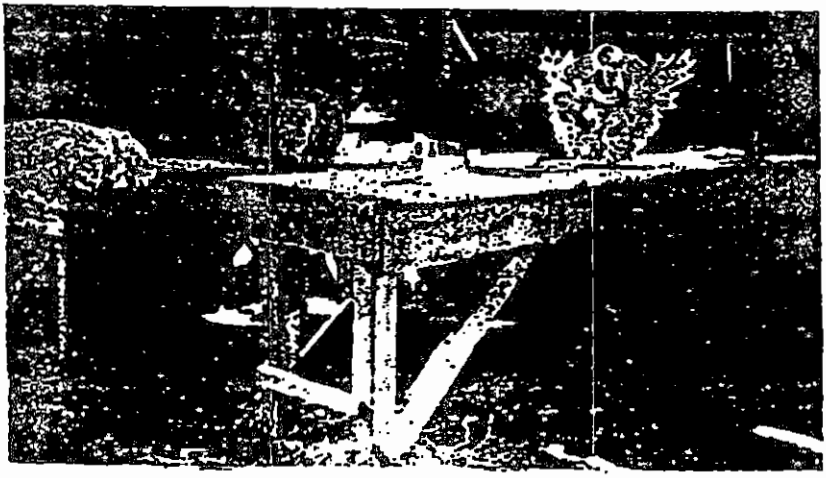

الرسم ٤ – بعض الآثار المنحوتة

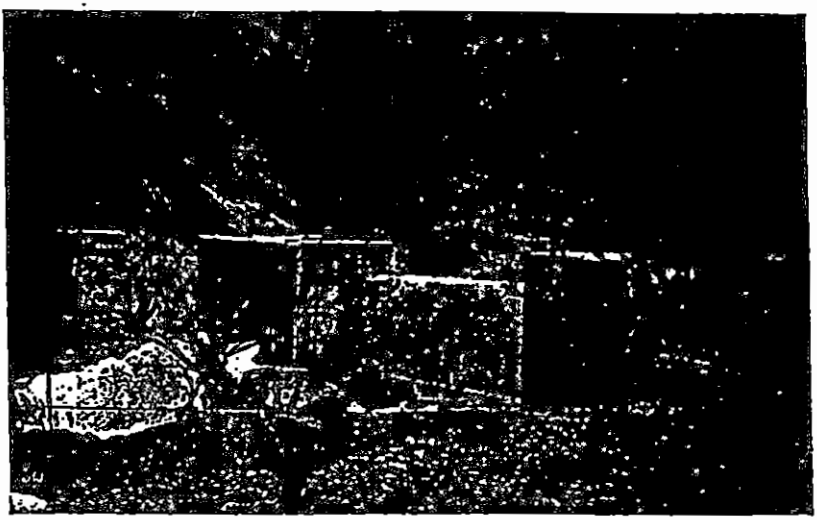

رسم ٧ – منظر للسد يتدفق عن سطحه ما يفيض من المياه

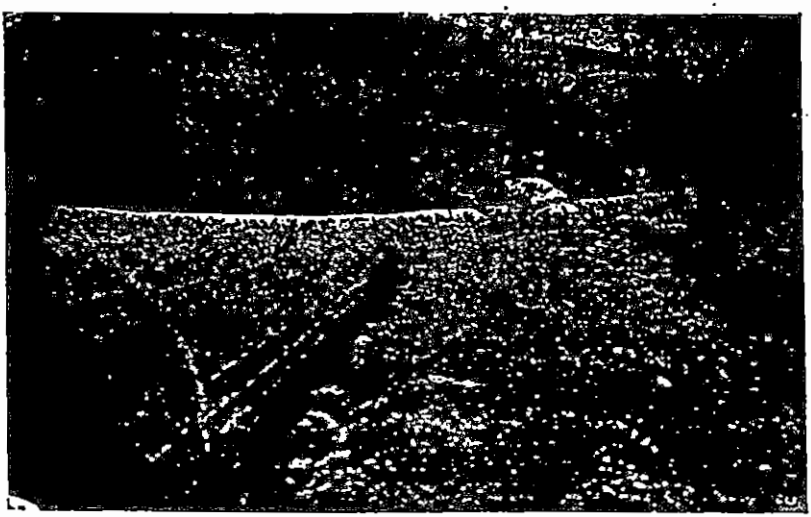

رسم ٩ – منظر لقسم من القناة بعد عملها

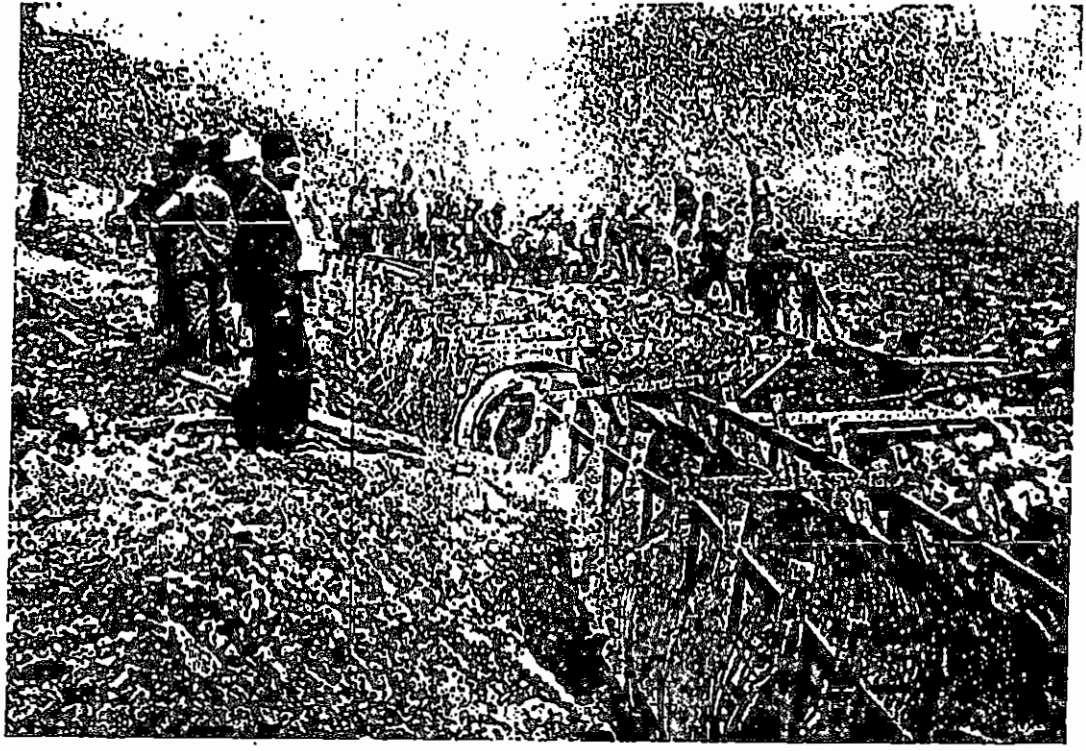

الرسم ٨ – قسم من القناة عند عملها

وكان وقتئذٍ في بيروت ولبنان بعض المتخصصين بصناعة المرمر والرخام ، يقطعون الصفائح منها بمنشار يحرّكه عاملان مقربعان على الارض ، ويجلونها بالطريقة المارّ ذكرها . وكان هؤلاء الصنّاع قد اختصوا باعمال القبور ، فجاروا ناحتين الصلبان والتماثيل والآيات ، كل ذلك بالازميل والمطرقة.

وبقي هؤلاء الاختصاصيون الى اليوم متمسكين بطرقهم ، الى ان قام البعض من الوطنيين ، فجاروا بالمعامل الحديثة لصناعة الحجر على اختلاف انواعه.

* * *

عرف الجميع مصنع السيد عريضه على مقربة من جسر بيروت ، بين الطريق بين بيروت وجونيه . وقد اشتهر هذا المصنع بالبحث عن الحجارة الوطنية من مرمر ورخام وغيرهما.

زرته لاول مرة في الصيف الماضي ، لما سمعت من همّة اصحابه . فدهشت بما رأيته فيه من انواع الحجارة ، وهي لو ابصرتها مرميّةً في جبال لبنان ، لما قدّرت انها تأتي بتلك الصفائح الجميلة اللمّاعة !

وتوسّمت في احد اصحابه كثيراً من الاماني. فنشّطته ووعدته بالعود قصدَ كتابة مقالٍ في مجلة «المشرق» ، وهي تُعنى ، هذه السنة خاصّة ، بذكر الصناعات الوطنيّة . ثمّ مضت الايام ولم يتسنَّ لي الرجوع حتى الخامس عشر من الشهر الفائت ، اذ عرفت ان المصنع سوف ينقل الى طرابلس ، ليتمكن السيد عريضه من التحسين فيه.

قطع الحجارة

تقطع الحجارة في المقلع بواسطة المطرقة والمخل ، وكثيراً ما يستعان بالمواد المتفجرة تُجعل في شقوق الصخور ، فاذا انفجرت تطايرت الاحجار او شقّت بعضها عن بعض . ويستخدم اليوم في اوربة « المقطع البنوماتيكي » وهو كناية عن ريشة معدنية صلبة يُحركها الهواء المضغوط رواحاً ومجيئاً ، فتعمل في الصخر ثقوباً عميقة. وتستخرج الحجارة بان يُعمل بالمقدح ثقوباً الواحد تلو الآخر

على شكل دائرة او مربّع ، ثم تُجعل في احداها المادّة المتفجرة ، فيقلع الحجر بالشكل المطلوب.

وتلك الطريقة سريعة جدًّا انتشرت اليوم حتى في بلادنا ، فاستخدمها كثير من اصحاب المشاريع كشركة الجرّ والتنوير في بيروت في تقريغ نفق قناة الصفا في لبنان.

ويعمل المقدح البنوماتيكي بجميع القياسات على شكل مدّس يمسكه العامل ، ويحرك ريشته تيّار من الهواء المضغوط.

النشر

فاذا قطعت الحجارة في المقلع وتساوت سطوحها قليلًا بواسطة الازميل ، جيء بها الى المعمل فنشرت ، على ضخمها ، صفائح . والمنشرة هذه كناية عن مركز يُجعل عليه الحجر ، وتحكم فوقه المناشير يبعد بعضها عن بعض بقدر ما يراد ان تكون ثخانة الصفائح من البلاط . ويسهل النشر بان يسقى الحجر بالماء مستديماً ، والّا حميَ المنشار وتعطل . ويمثل الرسم ٢ آلة النشر في معمل السيد عريضه تنشر حجرًا ضخماً ، فتحوله الى عشرين صفيحة.

وتُحرّر اطراف الصفائح بمنشار ثانٍ مستدير الشكل ، لم تتمكّن من رسمه ، يستغرق نحوًا من خمسة احصنة من القوة.

الجلي

ومهما كان الحجر جميلًا فلا يظهر رونقه الّا اذا جُلي وجهه فاصبح كالزجاج لمّاعاً . يُستعمل لذلك آلة (انظر الرسم ٣) اساسها محورٌ عمودي ، يُجعل في اسفله طبقٌ مستدير ، تحكم فيه حجارة صغيرة من الخفّان . فاذا تحرّكت الآلة برَمَ الطبق يميناً وشمالًا ، فحكّ الخفّان صفائح البلاط فجلاها . والعملية تستلزم كمّيّة من الماء تخفف من عمل الخفّان وتذهب بالمتناثر منه . اما القوّة اللازمة لتحريك تلك الآلة فلا تبلغ الثلاثة احصنة.

النحت

وعني المصنع ايضاً بالنحت يُجرى على الطريقة الحديثة بواسطة الازميل

البنوماتيكي . ويُرى في الرسم ٤ بعض النحوت لم تتمّ بعد ، وقد رأيت اثناء زيارتي المصنع ضريحاً من المرمر والرخام ضمنه تمثال لأحد قوّاد الجيش اللبناني متقن الصنع ، لم اتمكن من تصويره .

* * *

تلك نظرة في صناعة الحجر لم يتسنَّ لي الوقت للتوسع فيها ... اما الذي لا بدّ من بيانه فهو انه ، مهما تطورت طرق البناء بتقدم صناعة البطون والقرميد ، فلا يزال للحجر مقامه منحوتاً ومشغولاً ! واذا اهمل في البناء الخارجي فانما الّا مسألة اقتصادية . كيف لا وقد قامت على الحجر ، ضخماً كان او نحيفاً مشغولاً ، شهرة الاقدمين ، من آثار تدمر وبعلبك الى آثار اثينة وروما !

واذا كان لبنان لا يحتوي على الحجارة الثمينة كالرخام ، ففي جباله كثير من المرمر والحجارة الكلسية المتنوّعة الاشكال التي اذا صقلت كان لها رونقها وجمالها . وهذا ما يقوم بـه اليوم بعض الوطنيين ، وفكرتهم استخراج درر لبنان من صخوره الصمّاء .

تبعاً للرسالة البابوية «Casti connubii»

بحث اخلاقي لاهوتي

للاب شرل ابيلا اليسوعي

منشأ الزواج من الله وضعاً وطبعاً

٣

٧ الادلة على تأصل الزواج الحقيقي في الطبيعة (تابع)

ب – وجوب الحب المتبادل والتعاون في الزوجين

على ان ثمة ، علاوة على الغاية المذكورة ، غاية اخرى اسمى منها بطبقات . ألا وهي الحب المتبادل والتعاون اللذان لا غنى عنهما للزوجين ، من حيث صالحهما الشخصي وصالح بنيهما.

ولستُ اقول انّ وجودهما اكيد مقرّر في كل زواج حقيقي . فقد تحول دون تحقيقهما عوامل مختلفة ، أخصها سوء التربية وتسرُّع احد القرينَين او كليهما الى الارتباط بالزيجة بدون ما تبصر من قبل.

قال سيدنا البابا : « لا يمكن الانكار ان الاسّ الوطيد للزواج الهني. واسباب الخراب للزواج التعس تنشأ وتوضع في قلوب الفتيان والفتيات منذ زمن الحداثة والشبوبية . لان الذين كانوا قبل ان يتزوجوا لا يسعون الا وراء ما يتعلق بشخصيتهم ومصالحهم الخاصة ويستسلمون الى شهواتهم ، يخشى عليهم ان يبقوا في حالة الزواج على ما كانوا عليه قبلها ، وكذلك ان . . . يحصدوا ما يكونون قد زرعوا ، أعني ان يكون نصيبهم بين جدران بيوتهم الحزن والبكاء والازدراء المتبادل والنزاع والاختلافات والملل من الحياة المشتركة . . .

« اما الاستعداد القريب للزواج الصالح فيقوم خصوصاً بالاجتهاد في اختيار الزوج ، اذ عليه يتوقف كثيراً ان يكون مستقبل الزواج سعيداً او غير سعيد . فان احد الزوجين يمكن ان يكون منه للآخر اما عضد عظيم للحياة المسيحية في حالة الزواج واما خطر عليها وعائق لها ... فعلى طالبي الزواج ان يعمدوا الى التبصُّر ملياً قبل اختيار الشخص الذي سيقيِّدون من بعد بالعيشة معه على الدوام ... واخيراً لا يهملوا الطلب الى والديهم ان يدلوا اليهم ، في شأن انتخاب الزوج ، بما تملي عليهم الفطنة من النصح ... »[1]

فاذا ما روعيت هذه النصائح ، تسنى للزوجين الوفق والحب والتعاون ، لان الزواج المشروع موجَّه من طبعه نحو تحقيق هذه المزايا بل نحو اتمامها على مدى الايام ، ولاسيما اذا كان القرينان متصفين بتقوى الله متكلين على عونه تعالى وخصوصاً على نعمة سرّ الزيجة ، التي سيأتي الكلام عنها في مقال آخر .

اما القِران الطليق فانى له ان يضمن الائتلاف والتعاون للقرينين والسلام للعائلة ، واسه الانانية والشهوة ، وقوامه حرية الانفصال وعدم الثبات في المودّة . او ليس السبب في تسميته طليقاً كونه ، في عرف مروّجيه ، يحرّر الرجل والمرأة من كل ما من شأنه ان يوحّد قلبيهما ؟

أوَ لا يُتهَمُ الحب البشري الصحيح النبيل ويُدنَّس فظيعاً بان يُحصر بتمامه في قضاء الوطر للشهوة الحيوانية ، كما لو لم يكن بتاتاً ، في شعور الزوجين ، غيره مما هو اعلى منزلة واشرف منزعاً ، مما هو صميم في الانسان متأصل في ذات روحه ، من مودّة مضطرمة لا شفاء لغليلها الا ببذل النفس في سبيل الشريك في الحياة والاعباء ، وحنانٍ في غاية الرقة لا يرضى الا بان يكون بينهما كاملاً دائماً ، وانشغافٍ يدفعهما الى التفاني بدون ما تحزئة ولا انقطاع ، ورغبة شديدة في ان يُخلّدا كيانهما بذرية صالحة لهما . فاين من هذا كله الحبُّ الفيزيولوجي الصرف الذي شاء ناقضو الزواج ان يحصروا فيه كل ما يكنه قلب القرينين من عواطف المودة الصادقة .[2]

١) الرسالة *Casti connubii* ص ٤٦ – ٤٨

٢) راجع كوله في المحلّ ذاته ، ص ٤٠ – ٤٥

ت – غايةُ الزواج العليا في ايلاد البنين وتربيتهم

على انَّ الحب المتبادل والتعاون ، مهما علا شأنهما ، انما هما واسطةٌ توّصل الزوجين للبلوغ الى غاية هي اسمى غايات الزواج واشرفها واهمها ، ألا وهي ايلاد البنين وتربيتهم ، مما لا ينكره عاقل.

قال الحبر الاعظم : « اوّل خيرات الزواج النسل...

« امّا كون هذه منّة عظيمة من الله وخير كبير للزواج فيظهر جليًا من منزلة الانسان وغايته القصوى . فان الانسان يفوق سائر الخلائق المنظورة حتى بسموّ طبيعته العاقلة وحدها . أضف الى ذلك أنَّ الله يريد ان يولد الناس لا ليوجدوا فقط ويملأوا الارض ، بل بالاحرى ليصيروا عبيده ويعرفوه ويحبّوه ، فيتمتّعوا بالسعادة الابدية في السماء . وهذه الغاية ، من حيث انَّ الله رفع الانسان بنوع عجيب الى نظام فائق الطبيعة ، تفوق كل ما رأته عين وسمعت به اذن وخطر على قلب بشر[1].

« ومن ثمَّ يتبيَّن بسهولة ان الاولاد الذين يُخلَقون بقوة الله ضابط الكل وبمشاركة الوالدَين ، هم عطية عظيمة تمنحها جودة الله ، وثمرة للزواج زكية.

« وليعلم الوالدون المسيحيون انهم لم يُمدّوا لتكثير الجنس البشري وحفظه على الارض فقط ، او لتربية عباد للاله الحقيقي أيًا كانوا فحسب ، بل ليُقيموا لكنيسة المسيح نسلًا ورعية مع القديسين واهل بيت الله[2] ، حتى يزداد نموًا مع الايام الشعب المخصّص لخدمة الله ومخلّصنا يسوع...

« فاذا تأمّلت ذلك الامُّ المسيحية الحقّة ، تُدرك دون ريب أنَّ كلام فادينا قد قيل عنها ، بمعنى اسمى وشديد التعزية ، « المرأة حين تلد تحزن... لكن اذا ولدت الطفل لا تعود تتذكر شدّتها من اجل الفرح ، لأنه قد وُلد انسان في العالم »[3] بل تتفوّق على آلام مهنتها الوالدية واتعابها واعبائها ، فتفتخر

---

١) كورنتس ١ : ٢٨

٢) افس ٢ : ١٩

٣) يوحنا ١٦ : ٢١

بالرب باكليل البنين المجيد ، الذي يكلل رأسها .»[1]

ولكن قل لي ، رعاك الله ، اين هي الواسطة الفعّالة المثلى ، الضامنة تحقيق هذه الغاية العليا ، التي تتوخّاها الطبيعة وخالقها من قِران الزوجين ؟ أين تتيسّر اسبابها على احسن منوال وافضل اسلوب ، طبقاً لما تقتضيه الفطرة البشرية وجوباً وتتمنّاه استحساناً ؟ أفليس في الزواج الحقيقي المشروع ؟ أوليس ثمة فقط يتسنّى للناس ان يتفوّقوا ، بتجديد الحياة متواصلاً ، على ما يُلحق بهم الموت من الخسارة كلّ ساعة وكلّ دقيقة ؟ ام ليس ثمة فقط تُعزَّز تربية البنين ، بتعاون الاب والام الطبيعي ، فينشأ للمجتمع اعضاء عديدون يصلحون صحّةً وذكاءً وادباً لخدمته والسير به في مدارج الفلاح بضروبه جميعاً ؟ أمّا القِران الطليق أفلا يؤول ، من ذات طبعه ، الى تلاشي النوع وانقراضه تماماً سريعاً ؟

يدلّنا الاختبار ان الصلات العارضة المتنقلة هي غالب الاحيان عقيمة لا ينتج عنها ثمرة . وكذا قل عن القِران الطليق مهما قيل انه يختلف عن الصلات المذكورة . فمن اهمّ اسباب العقم ، بعد تعدّد الرجال للمرأة الواحدة ، هو تنصّل المرأة من اعباء الحبل وهمومَ الامومة وآلامها . ولا عجب فيما اذا كان هذا هو استعدادها اكثر الاوقات في حالة القِران الطليق . ذلك لعدم وجود رابطة ادبيّة توثق زوجها بها وتُلزمه جانبها . فتخشى دائماً ان يخونها ، بل ان يخطر بباله هجرها في نفس الساعة التي بها تكتنفها اخطار الولادة وارجاعها وعواقبها . ومن ثمّ نادراً ما ترضى بان تصير امّاً ، بل تحول دون ذلك بكل ما لديها من الذرائع ، ولا تسل عمّا يستنبط منها عقلها المذعور من اهوال الولادة .

ولو فرضنا جدلاً وسلّمنا حيناً ان النسل ، في حالة القِران الطليق ، يأتي فعلاً ، على ما تفرض الطبيعة ، لبقي المولود في الغالب على كاهل الامّ وحدها ، مهجوراً واياها من أبٍ لم يدفعه الى القِران المذكور سوى قضاء الوطر للشهوة الانانيّة ، بدون ما حسابٍ لعواقب ما اتاه من العمل ، مهما كانت خطيرة .

---

١) الرسالة Casti connubii ص ٥ — ٧

والجمال انّ الوالد والوالدة يجب ان يتكمّلا ، ليس فيما يتعلق بولادة البنين فحسب ، بل بتربيتهم ايضاً.

فظاهرٌ ان الطفل ، بخلاف صغار الحيوان ، هو ذو نموّ بطيءٌ للغاية ، تمرّ عليه سنوات قبل ان يبلغ جسمه وعقله وارادته الى الحدّ الذي يستغني به عن التربية والتهذيب . وظاهرٌ ايضاً ان خالق الطبيعة انما قصد بذلك أن يبقى الابن في عهدة أبويه وعلى تبعتهما طويلاً . فانه قد شاء ، عزّ وجلّ ، ان يشتركا في حماية ضعفه وتخريج عقله وتثقيف ضميره كما اشتركا في ايجاده حيّاً.

جاء في الرسالة البابوية : « انّ خير الاولاد لا يتم بولادتهم ، بل هناك خير آخر ينبغي الاهتمام به ، وهو يقوم بتربية الاولاد التربية المقتضاة . وفي الحقيقة لو أنّ الله الكلي الحكمة لم يخوّل حقّ التربية ويفرض واجبها على الذين اعطاهم قوّة الانسال وحقّه ، لما كان اعتنى بالولد المولود بل بجميع الجنس البشري العناية الكافية . فانه لا يمكن ان يخفى على احد أنّ الاولاد لا يمكنهم ان يهتموا لانفسهم فيكفوها ما تحتاج اليه ، حتى في ما يتعلق بالحياة الطبيعية . فكم بالاحرى في ما يختصّ بالحياة الفائقة الطبيعة . بل انهم يحتاجون سنين عديدة الى ان يساعدهم غيرهم ويرشدهم ويربّيهم . ومن الواضح الجليّ أنه ، بامر الله وايعاز الطبيعة ، يرجع اولاً حق تربية البنين وواجبه الى اولئك الذين باشروا عمل الطبيعة بالولادة ، ثم حُظر عليهم تحظيراً ان يعرضوا العمل المباشر لخراب اكيد بتركهم اياه غير متمّم . على انّ هذه التربية الضرورية جدّاً للاولاد قد روعي امرها على احسن ما يمكن في الزواج الذي به يرتبط الوالدان ارتباطاً لا ينفصم فلا يزالان مستعدّين العمل معاً والتعاضد »[1].

قال السيّد بونوملي استف كريونا في مؤلّف له عن الطلاق : « لا بدّ من اثنين لإنبات الحياة ولا بدّ ايضاً من اثنين المسير بها الى حيث تنفطر تماماً . فما من الاب وحده سوى سطوة جافية الى حدّ الافراط وعقلٌ ابرد من الثلج وقوّةٌ ثقيلة مرهقة . وما من الأمّ وحدها سوى حبّ بدون ما حدّ معقول ، ولين بدون ما ضابط ، ورقّة بدون ما مقوّم . فكلاهما مجتمعَين لا غنى

(١) المحل ذاته ص ٧

عنهما للتربية. وقد جمعت الطبيعة بينهما ووحّدتهما على نحو عنصرَين يتكمّلان فينبلج منهما في روح الولد النور والحرارة.»[1]

ولست اجهل ان بعض المعاصرين من منتحلي علم الاخلاق يعدون الزوجين بان تحلّ الحكومة محلّهما ، فتأخذ على عاتقها تربية بنيهما ، فينفسح لهما المجال الى الانقياد لمسعى نزعاتهما الغريزية على ما يمنّ ويطيب لها . فاليوم قِران وغدا فراق ، وكذا الى ما شاء الله ، ما دام ليس من رابطة ادبيّة توثقهما ، ولا من مهمّة عائليّة يتقيّدان بها .

ولكن تُرى هل في مكنة الحكومة ، اذا ما تعهّدت تربية البنين ، ان تمنعَ النساء من الالتجاء الى كل الوسائل التي تحول دونَ ايلادهم ، ولاسيما اذا ما أُقنعنَ ان الغاية من وجودهنَّ في العالم عموماً ، وقِرانهنَّ خصوصاً ، انما هي التنعّم والتلذّذ ؟ اوَ ليس هذا هو المبدأ الكاذب الذي يستند اليه مذهب القِران الطليق ؟

ثم هَبْ ولادتهم امرًا اكيدًا واقعاً . أفلا يبقى ان الحكومة ، مهما نشطت ومهما كان لها من القدرة ، لا يمكن أن تقوم مقام الاب والام لدى البنين ؟ وان فرضنا أنّ موظفيها هم أنزه خلق الله واشدّهم اعتصاماً بالواجب وتفانياً في سبيله ، فهل تستغني العائلة ، بسطوتهم الرسمية ونشاطهم المأجور ، عمّا رسمت الطبيعة على محيّا الاب من سمات السلطة ، وعمّا نقشت في قلب الامّ من عواطف الحب والحنان ؟ والى مَ يؤول الامر بالبشرية اذا ما امست تجهل من الشعور الجبلّي حتى اعذبه واشدّه واعرقه في القلب ، اعني به حب الاب والام لبنيهما ، الذي يسري مع الدم في عروقهما ؟ قد قيل عن الذئاب انها تفترس بعضها بعضاً . ولكن لم يُسمع قطّ انّ الانثى منها تخلّت يوماً عن مولودٍ لها . فما بال متفلسفينا يحاولون ان ينتزعوا من افئدة الامهات في البشر ما ركّزته الطبيعة ووطّدته حتى في قلوب إناث الوحوش ؟[2]

(لها بقية)

١) ذكره ونشره في المحل ذاته ، ص ٨١

٢) راجع كرله في المحل ذاته ، ص ٤٥ – ٤٩

في القرن التاسع عشر

وتدخل قنصل فرنسة في ذلك

بقلم الشيخ سليم الدحداح

٢

تتمة

ولنعد الآن الى القنصل فانه لدى وصوله الى طرابلس حلّ ضيفاً على قيس قنصل فرنسة هناك ، وبقي عنده يومين . وقد زاره فيها اخوان من أسرة كسفليس ، وهي يونانية الاصل من جزيرة كورفو ، وكانا متولين قنصليات بقية الدول المسيحية في طرابلس ، بنوع ان الجنينة القائمة امام بيتهما كانت حافلة باعمدة اعلام هذه الدول اكثر منها بالاشجار المثمرة . وقد اسهب في الكلام عنهما وعن عائلتهما ووصف ملابسهما الاعتيادية والرسمية ، ووصف خاصةً جمال قرينة احدهما التي قال عنها «انها بالحقيقة ملكة الجمال وانه لم يجد مثيلةً لها في انحاء لبنان وسورية الّا مدام كتفاگو ، قرينة قيس قنصل فرنسة في حيفا ». وقد قال عن هذه الاخيرة «انها بالتأكيد ملكة حقيقية مزدانة بالحرير والكشمير والجواهر ، وعلى محياها هيئة اجتمع فيها الحياء المسيحي مع جزع الحريم بنوع بديع.»

ثم ترك طرابلس ، وصعد تصحبه حاشيته الى جبال الجبّة ، فوصل كوسي قتوبين ، حيث لقيه الاساقفة الثلاثة ، يحيط بهم مشايخ الجهات الشمالية . وقد خصّ منهم بالذكر شيخ بشرّي الشاب (ولم يبيّن اسمه) ، والشيخ شبل من مشايخ بشرّي وقد نسب اليه الخداع واختلاق الدسائس ، والشيخ بطرس

كرم[1] من اهدن ، ومعه ولداه مخايل ويوسف . وحال وصوله ابتدر الاساقفة والمشايخ بخطاب طويل بيّن لهم فيه سوء عاقبة تأخير الانتخاب البطريركي ، وانه حبًا بفضّ الخلاف قد اقنع الاساقفة الذين كانوا يطلبون اجراءه في كسروان بالحضور الى دير ميفوق الكائن في بلاد جبيل ، لانه في نقطة متوسطة بين كسروان والجبّة ؛ وانه يتأمل منهم ، اي الاساقفة الثلاثة ، ان يتبعوا مثل اخوانهم ويقنعوا من كلامه فيوافوهم الى ميفوق حيث يصير اجتماعهم وانتخاب البطريرك . وبعد مبادلة الاحاديث والبراهين بينه وبين الاساقفة وكبار المشايخ ، ولمّا ظهر له ان اكثر ما يمنع الاساقفة عن مبارحة قنوبين هو خوفهم من نهب هذا الكرسي من قبل مشايخ بشري ، تعهّد لهم بانه يبقى هو مع حاشيته محافظين على الكرسي وموجوداته . حينئذٍ اقتنع الاساقفة والشيخ بطرس كرم الذي ساعده كثيرًا ، وقام النائب الروحي فسلّمه مفاتيح الكرسي والخزنة البطريركية ، ثم سافر في الغد مع رفيقيه النائب الزمني ومطران طرابلس الى دير ميفوق . فبقي القنصل واستبقى المشايخ عنده .

فظلوا في ضيافته في الكرسي يومين ، ثم ودّعوه بعد ان وعدهم بردّ الزيارة . وبعد ذلك توجّه الى بشري فاستُقبل هناك بكل حفاوة ، وزار الارز ومعه اكثر من ثلاثين شيخًا ووجيهًا . واذ هم موجودون هناك وصل سيّاح من الانكليز ، وعلى رأسهم احد كبار اللوردة المشهور باسم المركيز دي سليكر ، فانزلهم القنصل في ضيافته . ومن هناك توجّه الى اهدن ، فحلّ ضيفًا كريمًا على الشيخ بطرس كرم . وهنا يسهب القنصل في وصف دار الشيخ وحسن ضيافته وكرم اخلاقه ، ويذكر ان له ابنين : مخايل ، ويوسف . فيطري هذا الاخير مادحًا شجاعته وحسن خلاله ، ويذكر ان اباه كان يعتمد عليه ويرجو ان يكون خلفه . واما مخايل الاكبر فيقول عنه « انه كان طنّاعًا ينتظر وفاة والده بفروغ صبر ليخلفه ، وحسودًا دنيّ الاخلاق يحقد على اخيه يوسف بسبب تفوّق هذا الاخير عليه ؛ وانه كان يرغب في احراز السلطة باية صورة كانت ،

---

١) قد غلط المؤلف بكتابة اسمه ، فانه ذكره في هذا الفصل ٦ او ٧ مرّات ، وفي كلّ منها يذكره باسم « الشيخ بطرس كرامه » . وهو سهو واضح ، فاصلحت اسمه .

وهو مستعدّ لبيع شرفه ودينه للوصول الى تلك السلطة»[1]. ويذكر القنصل ان من عوائد هذا الشيخ الوجيه استقبال كبار السيّاح في داره[2]

وقد قضى القنصل ليلته في دار الشيخ بطرس. وعند الصباح وصله رسول يحمل اليه كتاباً من المجمع الاسقفي في ميفوق، يخبره فيه الاساقفة انهم لدى اجتماعهم جميعاً في ميفوق باشروا اعمال الانتخاب. ثم رأوا الانسب اجراءه في قنوبين حسماً لكل نزاع، وحتى لا يبقى لاهالي جبّة بشري وجه للاعتراض. فقرروا القيام من ميفوق والمجيء الى قنوبين، وانهم حال خروج حامل التحرير من دير ميفوق قد بارحوه هم ايضاً قاصدين قنوبين.

فقرأ القنصل هذا الكتاب على الشيخ بطرس ونهض حالاً، فعاد بمن معه الى قنوبين. فوصل الكرسي في حال وصول جميع الاساقفة، وفي مقدّمتهم المطران انطون الخازن، وهو مرتدٍ جبةً حمراء بصفته شيخ الاساقفة. وكان بجيتهم حضرة الاب بلانشه اليسوعي.

فالتقاهم القنصل ورفاقه بكل احتفاء وهنأوهم على اتفاقهم، وبعد ان تناولوا طعام العشاء انفصل عنهم، داعياً لهم بان يتوفقوا ايضاً في الاجتماعات التي سيعقدونها منذ صباح اليوم التالي الى الوصول الى انتخاب بطريرك يسير على تقاليد البطاركة الراحلين. وفي اليوم التالي، وهو الثامن عشر من شهر

---

١) ويقول عن مخايل هذا انه كان على اتفاق تام مع المدّاع الشيخ شبل من مشايخ بشري. ويُضيف انه كان يوجد هناك، اي في جوار بشري، قسٌ اسمه نعمة الله أُخرج من حضن الرهبانية البلدية لسوء تصرفاته وفساد اخلاقه، وكان صديقاً للشيخ شبل وللشيخ مخايل اللذين كانا، بالاتفاق معه، يدسّان الدسائس احياناً لسمي القنصل ومنعاً لاتمام الانتخاب. ـ ولم يصرّح القنصل المؤلّف لا باسم عائلة الشيخ شبل، ولا باسم عائلة الراهب المطرود المكدّر. اما الشيخ مخايل بطرس كرم فهو والد البكوات الثلاثة بطرس واسعد وسليم الذين مثّلوا دوراً في ما بعد في عهد متصرفية لبنان الممتازة.

٢) لقد اخطأ حضرة الاب اسطفان فريحه البشلاني، في كتابه عن لبنان ويوسف كرم، اذ ذكر ان ولي عهد الملك لويس فيليب زار الشيخ بطرس، ظاناً ان لقب «جوانفيل» يختص بولي العهد، فخلط بين الاخوين. والحال ان الذي اتى الى الارز وحضر في امدن قران احدى بنات الشيخ بطرس سنة ١٨٣٦، هو البرنس دي جوانفيل ثالث ابناء الملك، لا ولي عهده الملقب بالدوق دورليان.

آب ، احتفل رئيس المجمع ، المطران انطون الخازن ، باقامة القداس الالهي . وبعد القداس تناول السادة طعام الصباح منفردين ثم اجتمعوا في الكنيسة وقفلوا الابواب وباشروا اجراء الانتخاب . وساد السكون في الكرسي البطريركي . واما القنصل فقد اجتمع بالاب بلانشه في غرفته واخذا يتبادلان الاحاديث عن حوادث اوربة ، وعن الآداب الفرنسوية ، والمجادلات الفلسفية والاجتماعية التي كانت قائمة في ذلك العصر في فرنسة . وظلا كذلك حتى الساعة الثانية بعد الظهر ، فسمعا حينئذٍ بغتةً اصوات التراتيل والصلوات صاعدة من الكنيسة . وفُتحت ابوابها ، وقرعت الاجراس ، فاسرع القنصل والاب اليسوعي الى جهة الكنيسة ، فرأوا جميع الاساقفة خارجين باحتفال ، وعلى رأسهم السيد يوسف الخازن . فدخلو قاعة الاستقبال حيث تبعهم القنصل والاب بلانشه . ولمَّا فرغوا من التراتيل ، وكانوا قد اخذوا مراكزهم من عن يمين ويسار السيد يوسف الخازن ، تقدم رئيس المجمع المطران انطون الخازن ، وقال بصوتٍ عالٍ ، باللغة الايطالية ، ما تعريبه : « يا حضرة القنصل هوذا بطريركنا (مشيرًا الى السيد يوسف الخازن) فانكم انتم الذي عملتموه ! »

فتقدم القنصل والاب بلانشه من السيد البطريرك يوسف الخازن واخذا بركته ، وقدّما له التهاني ، ثم هنأا آباء المجمع على اتفاقهم وحسن اختيارهم .

وبعد برهة انسحب القنصل والاب اليسوعي الى خارج الكرسي وابتعدا عنه مسافة بضع دقائق ، وجلسا على ربوة هناك غير منظورة من الكرسي . واخذا يتحدثان تاركين الوقت اللازم للسيد البطريرك الجديد وللاساقفة لاجل الراحة ، واتخاذ كافة التدابير اللازمة استعدادًا لحضور المهنئين من اهل الجوار . وكان القنصل والاب بلانشه بغاية السرور من النتيجة التي وصلا اليها ، والاب المشار اليه ينسب كل اسباب النجاح لتدخل القنصل . فاجابه هذا مازحاً : « أرأيت يا حضرة الاب كيف ان الفلسفة واستعمال العقل بامكانهما خدمة الدين والمساعدة على فوزه . »

وطالت خلوتهما في ذلك المكان الذي كانا يتمتعان منه باجمل المناظر . وهما كذلك ، واذا باصوات صياح وقتال وطلقات نارية واغاني حماسية . وكانت

الساعة الرابعة فنهضا للحال متوجهين ناحية الكرسي ، فنظرا من بعد مئات من الاشخاص مسلحين بعضهم بالعصي وبعضهم بالسكاكين واكثرهم بالبوارید هاجمين حتى دخلوا الكرسي وتفرقوا فيه. فوصل القنصل والاب بلانشه ودخلا في اثرهم فرأياهم داخلين الكنيسة ، وقاعة الاستقبال ، وغرف البطريرك والاساقفة . فصاح بهم القنصل وظلّ يخترق صفوفهم حتى دخل غرفة السيد البطريرك . وكان المتمردون قد نزعوا الطاقية عن رأسه ، ومسكوه بشعره . فلما رأى البطريرك القنصل ، سلّمه خاتم البطركية . وكان يجاوب هؤلاء الهاشمين بكل لطف قائلًا : « اهكذا تتطاولون على رئيس طائفتكم ؟ »

فهجم القنصل ووقف بين هؤلاء الافراد والسيد البطريرك. فكان حاجزًا مانعاً الوصول اليه ، وصار يضربهم بيديه ويصيح بهم ويتهددهم وينذرهم بسوء عاقبة عملهم ، وكان الاب بلانشه من جهته يجري مثل ذلك. وكان كل من التراجمة والقوّاصة والطاهي والخدم والمكارين ، حاشية القنصل ، يدافعون عن الاساقفة ويضربون الهاجمين ويضيجون بهم. وكان القوّاصة مصوّبين الاسلحة النارية على هؤلاء المجانين ومنتظرين الاشارة من القنصل لاطلاقها واخيرًا تمكنوا من بعد ساعة واكثر من اخراج تلك الجماهير من الكرسي ، ورغماً من كثرة عدد الهاجمين وانواع التعدي التي قاموا بها لم يحصل تلف انفس ، فأخذ الشمامسة والخدم بالاعتناء بالسادة . امّا القنصل فانه رغماً عن تعبه قد امتطى جواده والتفت الى رؤساء تلك الجماهير قائلًا لهم : « ها انني متوجه الى طرابلس ، ومنها لبيروت ، وساعود ومعي نجدة قوية للاقتصاص منكم ، فاجعلكم عبرة لمن اعتبر ، وحينئذٍ تعلمون نتيجة التعدّي على البطريرك واهانة ممثل دولة فرنسة . » وظلّ سائرًا حتى قرية بريسات . ففي هذا الوقت كانت قد هدئت الخواطر وفهم اولئك الهاجون رداءة عملهم ، وخافوا النتيجة فلحقوا بالقنصل واحاطوا به واخذوا يترجّونه ويترامون على اقدامه ، ويطلبون منه ان يعود الى الكرسي متعهدين له بالعودة معه حتى يلثموا ايدي البطريرك والاساقفة ويطلبوا منهم السماح والمغفرة . اخيرًا بعد رجاء طويل ، وبعد صراخ الاستغاثة والبكاء والنحيب من هذا القوم ، رضي ان يعود معهم. فساد حينئذٍ

الفرح بينهم واخذوا يحدون باسم القنصل . ولمّا وصلوا الى الكرسي اخذوا يصيحون باسم البطريرك يوسف الحازن والاساقفة . ولمّا اطلّ البطريرك عليهم ، جثوا راكعين في ساحة الكرسي ، وطلبوا منه المغفرة مظهرين الندم على ما بدا منهم . فباركهم وقال لهم انه قد غفر لهم اكراماً للقنصل . وبعد ان لثموا ايدي البطريرك والسادة والقنصل والاب بلانشه ، انصرفوا وذلك بعد غروب الشمس . وقد حسن لدى القنصل حينئذٍ ان يُرسل تحريرًا الى الشيخ بطرس كرم في اهدن يخبره بنتيجة الانتخاب ، ويطلب اليه الحضور مع رجاله صباحاً احتياطاً لكل مفاجأة.

وكان قد استولى التعب على القنصل وبُحَّ صوته تماماً ، وكانت ثيابه ممزّقة ، وكذلك كانت حالة جميع السادة والاب بلانشه وتراجمة القنصل وحاشيته ، فاخذوا قسطهم من الراحة ثم ناموا غير مصدّقين بخلاصهم بتلك الصورة . وعند الصباح ، بينما كان القنصل وجميع سكان الدير حاضرين ذبيحة القداس التي قام بها غبطة السيد البطريرك ، وعند رفع الكاس ، سُمعت طلقات نارية واهازيج مثل التي كانت جرت في اليوم السابق . فتابع البطريرك اكمال الذبيحة بدون سرعة ولا تأثر . ولمّا اعطى البركة الاخيرة وخلع الملابس الحبرية ، طلع على السطح مع لفيف سكان الدير فنظروا من جهة نحو ١٥٠ رجلًا مسلّحين ، ومعهم الشيخ شبل والشيخ مخايل بطرس كرم ، وكانوا مظهرين على ذواتهم انهم حاضرون لتهنئة غبطته وللمحافظة على الكرسي . وقبل ان يصلوا الى الكرسي سُمع عن بُعد طلقات نارية واهازيج حماسية ، وبعد قليل وصل قوم آخرون ، وهم رجال اهدن وعلى رأسهم الشيخ بطرس كرم وابنه الشيخ يوسف ، ودخل القومان معاً الى الكرسي. فتقدّم الشيخ بطرس وابنه والاهدنيون ، وهنأوا غبطته والاساقفة ، وسألوا القنصل ماذا يأمر . فاختلى القنصل بالشيخ بطرس ، واوقفه على ما جرى في اليوم السابق . وبعد ان تداول البطريرك الجديد وكافة الاساقفة ، اتفقوا على مغادرة قنوبين مع القنصل والاب بلانشه . فطلب القنصل من الشيخ بطرس ورجاله المحافظة عليهم في الطريق . وبعد ساعتين نهض

البطريرك والقنصل والاساقفة جميعهم والاب بلانشه ، وقد احاط بهم الشيخ بطرس وابنه يوسف ورجال اهدن بالسلاح الكامل ، وغادروا قنوبين مجتازاً الى كسروان . ولما دخلوا اراضي بلاد جبيل ، عاد اكثر الاهدنيين الى بلادهم ، وظلّ الموكب البطريركي متابعاً سيره حتى زوق مكايل . فكان في انتظارهم الامير حيدر اسمعيل ابي اللمع ، قائمقام النصارى ، ومعه اربعمائة فارس وعدد كبير من المشايخ الخوازنة اقارب البطريرك وسائر مشايخ كسروان ورجالهم . واخذوا باطلاق العيارات النارية واجراء الالعاب وغناء الاهازيج المفرحة ، ولما وصلوا دير البشارة ترجّل البطريرك ، وكافة افراد الموكب ، وبعد ان استقرّ بهم المقام تقدّم القائمقام والمشايخ وهنأوا البطريرك وقدّموا عبارات الشكر للقنصل وللاب بلانشه .

وهكذا تمّ انتخاب البطريرك يوسف الخازن بعد وفاة سالفه بمدة ٨٦ يوماً[1] . ولم يتدخل المجمع الروماني المقدّس ، لان اعضاء المجمع الانتخابي لم يراجعوه بالامر .

اما القنصل فعاد في اليوم التالي الى بيروت ، وبعد مضيّ مدة ، ورده من السيّد البطريرك تحرير كله عبارات شكر وثناء ، ومما قاله فيه :

« انك بالرغم من اشغالك العديدة تركت مركزك وحضرت الى قنوبين وحافظت على الديمان فوقيته من النهب واستمريت ٢٢ يوماً متحملاً جميع انواع التعب ، فمكّنتنا من عقد مجمع الانتخاب الذي رفعنا الى هذا المقام البطريركي عن غير استحقاق منا ومثّمتنا بحمايتك وعدتَ بنا الى كسروان حيث نحن عائشون بكل امان مع اخواننا الاساقفة . »

كذلك ورد القنصل المشار اليه تحرير من المؤرّخ والخطيب الشهير گيزو ، وزير الخارجية وقتئذٍ في فرنسة ، يقول فيه :

« بمناسبة قرب نهاية مأموريتك في سورية يلذّ لي ان اجدّد لك عبارات محظوظية حكومة جلالة الملك لما اظهرته من الثبات والحذق بمدافعاتك عن

---

١) لم نعلم اين وجدت مجلّة « المنارة » ، التي تصدر في جونيه ، ١ في عدد شهر شباط من هذه السنة ، ص ١٦١ ان البطريرك يوسف الثامن الخازن ، موضوع كلامنا هنا ، قد انتُخب بعد ٣٦ يوماً من وفاة سالفه ! ! !

المصالح المهمّة التي ألقيت لعهدتك . ان حُسن مداخلتك في انتخاب البطريرك هي من اهم الخدمات التي قدّمتها لمنفعة سكّان لبنان المسيحيين.»

ولمّا انتهت مأموريتـه في بيروت ، سافر الى فرنسة ، وبمروره في باريس قابل وزير الخارجيـة المشار اليه ، فسأله هذا: « هل البطريرك رجـل المعي ؟» (*Est-il un homme d'esprit?*) فاجابه القنصل: «لا اعلم هل في الشرق كله رجل يصحّ فيه القول انه المعي (*Un homme d'esprit*) بالمعنى الذي نفهمه في اوربة. في الشرق يوجد رجال اذكياء جدًّا ، وحائزون على صفات متنوّعة وعديـدة بدرجة فائقة . لكن لا يوجـد عند هؤلاء الرجال نظرات عامّـة ولا سعة الحكم ولا الخاصّة الفلسفيـة التي تفقه الروابط بين الامور ، وبالاختصار ليس لديهم تلك الصفات التي تشكّل ما نسمّيه في اوربة الرجل الالمعي . » فاجابه وزير الخارجية المومأ اليه: « لكنّ انتخابه في كل حال عمل استاذ خبير ، يحقّ لك الافتخار به.»

وكان هذا الجواب الصادر من رجلٍ مثل گيزو اكبر شهادة على مقـدرة القنصل المؤلّف.

وقد روى الخوري منصور الحدتوني في « المقاطعة الكـروانية » حادثة هذا الانتخاب ، الا انـه وهم في بعض تفاصيلها . اما القنصل فهو شاهد عياني ، وقد كتب عما رآه بذاته. وهنا ختم القسم الثاني من تأليفه المنوّه به.[1]

وهذا الانتخاب هو الاخير الذي جرى في قنوبين او الديمان . وامّا ما تبعه من الانتخابات في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٨٥٤ ، و ٢٨ نيسان ١٨٩٠ ، و ٦ كانون الثاني ١٨٩٩ ، و ٨ كانون الثاني ١٩٣٢ ، فقد تمّت جميعها في كرسي بكركي في كسروان.

---

١) ان عهد بطريركية السيد يوسف الخازن لم يتجاوز التسع سنوات والشهرين. وبعد وفاته اجمعت آراء السادة الأساقفة على انتخاب مزاحمه القديم ونائبه الروحي السيد بولس مسعد ، فنكث بطريركًا ٣٥ سنة وخمسة اشهر مثل فيها دورًا سياسيًّا ودينيًّا مشهورًا ، وتوفي في ١٨ نيسان سنة ١٨٩٠.

الذهب في مناجمه وخاصة في سورية

بقلم مرتن جبر

٢

تتمة

الذهب في سورية

من زبائن الصاغة والجوهريين في انطاكية بعضُ الفلاحات والقرويات يأتين من ضيعة مجاورة للمدينة ، فيقصدنَ تراً مراكز الصياغة لا لشراء المجوهرات والحلي ، بل لبيع ما يحملنه من مسحوق الذهب البالغ احياناً عدة غرامات. فيأخذه الصائغ وينقد صاحبته كمية تُذكر من المال . ومن المعروف المشهور هناك انه يكفي القروية ، كي تستخرج ذاك الذهب ، ان تغسل تراب احدى السواقي الجارية بالقرب من قرية العاقولية ، في ضواحي انطاكية ، فتفرز دقائق الرمل من الحصى في بركة ماء ، ثم تأخذ الرمل الراسب الثقيل فتبسطه على لوحة متحدّرة قليلاً وتصبّ عليها الماء شيئاً فشيئاً فيذهب الرمل ، وتبقى عالقةً باللوحة ذرّات ثقيلة صفراء براقة ، هي ذرّات الذهب. وهي التي تجمعها القروية برأس السكين ذرّة ذرّة ، جادّة مجتهدة في الغسل والفرز والجمع حتى يحصل لها عدة غرامات ، فتحملها فرحة الى صاغة انطاكية. فيدفعون لها ثقل ذرّاتها ذهباً ، اي انهم يشترون بالليرة التركية الذهبية ثقلها من تلك الذرّات.

ولا تظنوا ان الصائغ يخسر بتلك العملية . فان الليرة التركية لا يعادل عيار ذهبها الخالص الّا ٩٠٠ الى ٩١٦ من الالف . اما تلك الذرّات والدقائق فكثيراً ما يبلغ عيارها ٩٥٠ الى ٩٨٠ من الالف من الذهب الخالص . وعليه يكون ربح الصائغ من ٥٠ الى ٦٤ في الالف.

وقد زرنا مؤخراً قرية العاقولية وفحصنا ترابها ، فاذا هناك منجم حقيقي من الذهب الرابي الذي قدّمنا الكلام عليه . وهو يشبه شبهاً غريباً ما فحصناه من المناجم المهمة.

تقع طبقة هذا المنجم على ضفتي ساقية تجري في الوادي الواصل بين جبل الأمانوس ونهر العاصي . وقد يرقى عمرها الى العصر الجليدي الثاني ، وهو عصر قليل الظواهر في شمال سورية.

اما تكوين تلك الارض فناتج دون شكّ عن تراكم الموادّ المختلفة التي اثارتها وجرّتها الظواهر العنصرية فكوّنت اوّلاً طبقة من الرمال الخشنة ، يليها طبقة تكثر فيها العناصر الكوارتزية ، ثم طبقة رقيقة من الرواسب خالية من الصوّان ، واخيرًا طبقة الارض الزراعية الحالية . وكل ما في هذه الارض من العناصر يرتكز الى لوحة صخرية جبسية المادّة على الغالب ، كثيرة العروق المنتظمة تتبع سيرًا واحدًا من الشمال والشمال الشرقي الى الجنوب والجنوب الغربي بانحناء تبلغ زاويته من ٢٠ الى ٢٣ درجة.

ولا شكّ ان ما رأينا فوق تلك الطبقات الراسبية من عروق الكوارتز المعدني مخلوط فيه كثير من العناصر الذهبية والحديدية المغنطة ، والرصاصية ، وما الى ذلك ، مما يظهر اذا ما غُسلت رمال تلك الطبقة غسلاً متقناً كاملاً . واثناء فحصنا تلك المحلّة عثرنا على آثار اشغال قديمة تدلّ على ان ذاك المنجم لفت انظار السلف فاستغلوه في عصر متقدّمة جدًا.

وقد شئنا ان نختبر بنفسنا كمية الذهب الممكن استخراجه ففصلنا شيئاً من طبقة الرمل والحصى ، فكان لنا من ٥ الى ٧ الى ١٠ غرامات في المتر المكعّب . وهو قدر لا بأس به ، والمنجم في حالته الحاضرة . اما ما سيؤول اليه فهو سرّ المستقبل.

* * *

لننتقل الآن الى ذكر النوع الثاني من الذهب المعدني وهو الذهب العرقي الذي نستخرجه من الصخور او الفلزات المختلفة المشتملة عليه.

واشهر هذه الفلزات فلز الكوارتز الذهبي . وهو لا يكاد يختلف ، بظاهره ، في شيء عن انواع الكوارتز المعروفة . ويكون الذهب مختفياً في داخله على الغالب ، الّا في ما ندر ، فيبدو الذهب على ظواهر الكوارتز في امثلة قليلة محفوظة في المتاحف او المختبرات او المجاميع الخصوصية ، او عند

بعض الناس يستهلونها اعلاناً لمشروع ذي خطر ومجازفة ، وتمويهاً على السذج فيدفعونهم الى مناصرة ذلك المشروع .

اما الخبيرون بامور التعدين ، المطلعون على ميزات الفلزات والمعادن ، فلا تغرهم الامثلة اللماعة ولا المناظر البرّاقة . لانهم على يقين من قيمتها الحقيقية . وهم متأكدون انه اذا امكن استخراج ٢٠ او ٣٠ غراماً ذهبياً من الطن ، فذلك ان المنجم صالح موافق للاستثمار . وهم لا يطمعون بما وراء ذلك .

ولنعد الآن الى الكوارتز الذهبي . فهو ، وان لم يختلف اختلافاً يُذكر عن سائر انواع الكوارتز ، فان انواعه تتباين بتباين البلاد ، بل بتباين المناجم في البلد الواحد . فيصطبغ بالوان متنوّعة ، ويتصف بترتيب في طبقاته وخطوطه ومقادير اجزائه قد تكون شديدة الاختلاف حتى ان الخبيرين انفسهم لا يتمكنون من الحكم لدى فحص مثال واحد . ولا واسطة دقيقة لمعرفة قيمة المثال الكوارتزي الّا التجربة والتحليل بالطريقة الجافة ، والصهر ، والقطع وفحص الرقائق ليتحقق المختبر ذرة الذهب فيها . وفي ما عدا ذلك ، يلزم الخبير ان يحافظ على الاحتياط والتحفظ التام في حكمه على قطعة من الكوارتز يراها لأول مرّة .

وكثيراً ما يكون الكوارتز محتوياً على معادن ومزيجات رصاصية او نحاسية او كبريتية تصبغه بالوان تميل الى الاخضر او الى الازرق او الى الاحمر . ولكن مهما يكن من الأمر ، فيجب على الخبير اولاً ان يعرض كل ذلك على محكّ المختبر ، فيتبيّن الكوارتز الذهبي من غيره . فاذا تحقق ذلك امكن معالجة الكوارتز المذكور بالسحق ، او المزج مع الزئبق او مع السيانور ، او بالتركيز .

على ان هناك كثيراً من الفلزات تحتوي على شيء من الذهب ، وهي كثيرة التنوّع قليلة مقدار الذهب على الغالب فلا يهمنا امرها . ثم لا يندر ان تروا نوعاً لا تجدون له ذكراً في كتب المعدنيّات ، ولا يعرف قيمته الّا كبار المعدنين وخبيرو المناجم . فينعتونه « ذهب الهرّ » . وهو جميل المنظر اصفر برّاق لمّاع . ولكنه لا ينفق عند الصاغة . فهو لا يذوب ، وسرعان ما يسودّ

على النار . وهو ليس من الذهب في شيء . ان هو الّا نوع من المينكا او مزيج من الحديد يؤخذ الذّج بريقه الشديد، فيشترونه ذهباً خالصاً حتى يصح المثل: «ما كلّ برّاق بذهب !»

الذهب في الصناعة

بعد ان تُستخرج الفلزات الذهبية من مناجمها ، تُحوّل الى معمل حافل بالادوات المختلفة ، فيجرى عليها سلسلة من العمليات حتى يُستخلص منها الذهب الصافي ، كما سنرى . ولا يخفى ان هندسة المعامل ، وتركيبها ، وقوة ادواتها يختلف باختلاف النواحي . ولكن يمكننا ان نجرّد من كل ذلك وصفاً عاماً للمعمل نذكره في ما يلي .

لا يختلف تعدين الذهب في شيء مهمّ عن تعدين سائر المعادن الّا بان فلزاته الصخرية اصلب من غيرها . ولهذا ترى الشغل اليدوي عقيماً في ثقب حجارة الكوارتز . فلا بدّ من استعمال مثقب الهواء المضغوط ، واستعمال نوع شديد منه لا تقل قوته عن عشرة احصنة ، ودوراته عن ٣٠٠ الى ٦٠٠ دورة في الدقيقة .

اما تفكيك الصفائح الصخرية فيكون بواسطة المواد المنفجرة كالديناميت وما شاكل . فاذا حصلت الفلزات للمعدّن ارسلها حالًا الى الطاحون .

وطاحون الذهب معمل على غاية من الترتيب حتى ان كل العمليات تجري فيه من تلقاء نفسها . فتصل قطع الكوارتز من المنجم فتفرغ حالًا في اقماع كبيرة تتحرّك في قعرها آلات تدربل تلك الفلزات . حتى اذا كان فيها قطع كبيرة حُوّلت الى مِكسرة قويّة تكسرها بحجم البندقة او حبة الحمّص . ثم تجتمع هذه القطع الخارجة من الغربال ومن المكسرة في مجرى واحد ، تنحطّ اليه ، كل ساعة ، آلة خاصة فتتناول منه مثالًا يُرسل حالًا الى المختبر فيحلّله ارباب فيعلمون ساعةً فساعةً مقدار الذهب في تلك الفلزات ، وهل هو ينقص ام يزيد ، وهل يجب وقف العمل ام التحرير فيه .

وبعد عملية التكسير ، تسير القطع المعدنية نحو مسحقة عظيمة من النوع

الكاليفورني . وهي كناية عن مرجل كبير على شكل جذع المرم المقلوب ، بُطّن بصفائح من نحاس مفضّض يغلوها الزئبق . وفوق ذاك المرجل مطرقة عظيمة تزن من ٣٥٠ الى ٤٠٠ كيلو غرام فترتفع وتهبط ثمانين مرّة في الدقيقة ، على سندان من الفولاذ ، وسط المرجل ، تقع عليه قطع الكوارتز فتسحقها المطرقة دقيقاً ناعماً . وفي المرجل حنفية تُرسل عند اللزوم كمية من الماء فتحوّل مسحوق المعدن الى منخل في ناحية من المرجل . حتى اذا اخرجت منه ، وصلت الى الصفائح النحاسية المغشاة بالزئبق . فيمتزج الزئبق بدقائق الذهب ، ويترك سائر الدقائق فتهبط الى اسفل .

ولمّا كان ولا بدّ ان بعض الدقائق الرملية لا تتخلّى عن كل ما فيها من الذهب بتلك الطريقة ، نرى في المعمل طريقة اخرى ، وهي مزج ذاك الرمل الذهبي بالسيانور . ويكون العمل بان يُحوّل المسحوق المعدني الى آنية فيها محلول من سيانور البوتاسيوم بمقدار ٠,٦ الى ٠,٨ بالمئة . وبهذه الوسيلة يُستخرج من ٩٠ الى ٩٣ بالمائة من الذهب الباقي في المسحوق بعد عملية المزج الزئبقي . حتى ان التراب او الرمل الخارج من تينك العمليتين لا يبقى فيه الّا آثار لا تذكر من الذهب في كل طنّ .

على ان هذه العمليات المتتابعة لم توصلنا الى الذهب الخالص الذي نتمكن من ارساله الى البنك او الى ادارة سكّ النقود . فيلزمنا اذاً تطهير المزيج ، واستخراج محصول التركيز ، ومعالجة سائل السيانور . واشهر تلك العمليات ما نلخص وصفه ادناه :

كلما تتابع سير الطاحون ، ازدادت سماكة الصفائح النحاسية الحاملة الزئبق . ولا بدّ من ان يراقب ذاك العمل رجل خبير متضلّع من نظريات تعدين الذهب ومتمرّن على العمل ، وحاصل فوق ذلك ، على ضمانات مهمّة من احد كبار المصارف . فهذا الرقيب ، يُضيف عند اللزوم شيئاً من الزئبق في المرجل حيث يختلط بالدقيق المعدني ويخرج معه من المنخل ، فيلتصق بالصفائح ، حتى اذا زادت سماكتها قشطها الرقيب بواسطة نصل من الكاوتشوك فسقط عنها المزيج في اقنية خاصة تجرّه الى صندوق محكم القفل في اسفله جيب من جلد الوعل

يحتفظ بالذهب ، ويترك القسم الكبير من الزئبق فيسقط في الخارج ويعود الى المرجل ليُستعمل من جديد.

وعندما يمتلئ ذاك الجيب يؤخذ فيشدّ بواسطة ضاغطة صغيرة . ثم يُجمع ما يُخرج منه ، فيقطّر بانبيق خاصّ من الحديد. اما ما يتصعّد من بخار الزيبق فيتكاثف رويداً ويجمع على ناحية . واما الذهب الباقي على شكل دقيق اغبر ، فيُذوّب ويصبّ سبائك يعيّن عيارها بكل دقة في المختبر، ثم تُوجّه نحو البنك او نحو ادارة سكّ النقود.

اما فلزات الذهب المركّزة فلا يمكن معالجتها في المناجم المذكورة لقلّة ما فيها من الذهب . فتُرسل الى معامل التعدين الاعتيادية ، فيشتريها اربابها ويضيفونها الى غيرها من الفلزات والامزجة كالرصاص الفضي او النحاس الذهبي او ما شاكل.

واما محاول السيانور فترفعه مضخّات خاصّة وتصبّه في آنية فيها رقائق دقيقة من الزنك ، اذا ما صادفها الذهب تهافت وسقط من السائل . ثم تؤخذ هذه الرقائق وتُعالج امّا بالحامض الكبريتي ، او بالتقطير في انبيق خاصّ فيتصعّد بخار الاوكسيد الزنكي الابيض ، ويترك دقيق الذهب الاغبر الذي يُصهر ويصبّ سبائك ، كما تقدّم في العملية الاولى.

***

هذا ما رأينا ذكره من عمليات الذهب الدقيقة الصعبة الطويلة. فاذا سمعتم يوماً ما ان فلاناً من اصحاب الملايين ، سهل عليكم تصوّر تلك الثروة. وانتم اذا حسبتم ذلك ، على سعر الذهب اليوم ، رأيتم ان مليونه يتمثّل بسبيكة ذهبية يبلغ طولها ٢٥ سنتيمتراً بعرض ١٣ سنتيمتراً،وسماكة ١٠ سنتيمترات لا غير ، ولكنها ثقيلة جداً ، لانها تزن ٦٢ كيلوغراماً ونصف الكيلوغرام.

صفحة ذهبية من تاريخ لبنان

البطريرك اللبناني
الياس بطرس الحويك
١٨٤٢-١٩٣١

بقلم الخوري منصور عواد عوّاد

٣

البطريرك

في اليوم الرابع والعشرين من كانون الاول سنة ١٨٩٨ ، كانت الثلوج تغطّي لبنان بآكامه وسفوحه ، من شاطئ البحر الى اعلى قمة فيه . وكانت سماء لبنان مربدّة قاتمة تجلّلها الغيوم والسحب وقد تجمدت من قرص البرد ، وبدا البحر متجهّماً وجهه ، مسوداً كله ، مرعباً منظره لا يظهر منه الا امواجه تتكسر على الشاطئ مزبدة بيضاء تحاكي في ذلك القتام الطبيعي النهاري بقيّة الامل في عيني الرجل اليائس من الحياة ابّان شدة محنته واشتداد قنوطه ! وقد عمّ السكون البلاد بأسرها فلا صوت للطبيعة ، ولا صوت للناس . فهم قد لازموا بيوتهم مختبئين وكان الرعد يختنق عند دويّه كأنه صادر من صدر فيه حشرجة الموت ، فكان الثلج وهو يغطي ارض لبنان جميعها كأنه كفن اعدّته يد الرب للبنانيّين عظيمين انطفأ سراج حياتهما في ذلك النهار ، بل كانت السحب باربداد وجهها كأنها بساط الرحمة الالهية نُشر على وجه السماء حداداً على الراحلَين الكبيرَين . كان احدهما مجهولاً لدى الناس معروفاً لدى الله ، منقطعاً الى خدمة ربه في صومعة على رأس جبل في محبسة دير مار مارون عنّايا ، وهو الحبيس الاب شربل مخلوف بقاعكفرا الراهب اللبناني الذي عُرف منذ طفولته بالقداسة وكان قديساً في جميع ادوار حياته الرهبانية . والذي مضى على وفاته ثلاثة وثلاثون عاماً ولا يزال جثمانه محفوظاً الى يومنا هذا كأن روحه لم تفارقه الا منذ ساعات ، بل لا يزال يرشح من جثمانه عرق لا يرشح الا من

اجساد الاحياء! هذا هو احد الراحلين في ذلك النهار، وقد تحدث الناس في عجائبه وعجيب بقاء جثمانه في تلك الحالة الغير الطبيعية حتى هذه الساعة. وهو الذي يُوشر الفحص عن قداسته بطريقة قانونية لتثبيته قديساً وتكريمه على المذابح.

واما الراحل الآخر العظيم امام الله والناس فقد كان البطريرك الماروني يوحنا الحاج الاداري الاوحد، السياسي الفذ، الماضي العزيمة، العامل، النقاد، النادر المثال بنشاطه وعزة نفسه وبراعته في الحكم، الراعي الصالح الذي رعى الملة المارونية نحو تسع سنوات فبلغ بها شأواً عالياً مجيداً قد لا يبلغه غيره في سنوات كثيرة!

وكانت اجراس الكنائس في الطائفة المارونية، من سيف البحر الى ما وراء جبل لبنان الشرقي، تنعي البطريرك باصواتها المختنقة حزناً وألماً وفي رنتها غصة الموت واصوات القبور فتّها فيها الصقيع والهواء المتلبس بضباب الثلوج فظنها الناس مدركة هول المصاب بمن تنعاه مختنقة اللب والصوت عليه!

وكانت العواصف في البحر الى مجال بعيد تحمل في احشائها صدى النكبة الشديدة التي انتابت الموارنة. فأطلّ الموارنة وسائر اللبنانيين معهم من كوى بيوتهم يبحثون في ذلك الفضاء القاتم عن نجم البطريركية. فخاله اكثر الناس في «نجم» كسروان الذي كان يرسل اشعته في سائر البلاد، كأنه نجمة الصبح الصاعدة فوق صنين تبشر بالصباح، ولا غرو فقد كان ألف اللبنانيون منذ قرن ان يروا نجوم البطاركة تبزغ من كسروان، من البطريرك العالم يوحنا الحلو الى البطريرك الفتى يوسف حبيش الى يوسف الخازن فبولس مسعد فيوحنا الحاج. ولكن ما اقصر مدى الابصار البشرية فانظار الناس لها افق ضيق تكون تعساء اذا علّقنا كل آمالنا عليه وعلى ما يبصر الناس منه، وللعناية الالهية افق وسيع بل غير متناهٍ لا يحدّه حدٌ بشري!

ولا يُستغرب افتكار الموارنة بمن يخلف البطريرك يوحنا الحاج ساعة فُجعوا به فهذا مألوف البشر ان يدّعوا الملك الميت: مات الملك، ليحيَ الملك! فالبطريرك الماروني ملك في الشرق ورأس لا تعيش الملة بدونه، فلا يحيا الجسم بدون رأس. لا يُستغرب الامر والبطريرك الماروني هو المرجع الاكبر الاول في حياة البلاد الدينية والسياسية، وللناس كلهم مصالح في الدين والدنيا، وحيث تكون مصلحة

الانتخاب فهناك عقله وقلبه ، بل ان البطريرك الماروني أب للملة المارونية، والابناء لا يستطيعون، اذا مات والدهم، ان يعيشوا ايتاماً اذا كان في وسعهم ان يستعيدوا أباهم الى الحياة ، فانتخاب الخلف البطريركي يعود ابو الطائفة الى الحياة في شخص خليفته . وهذا سرّ توجه انظار الموارنة حال وفاة بطريركهم الى من يخلفه لا لانهم ينسون او يتناسون السلف العظيم بل لانهم يحبون الحياة ويريدونها اغزر مما كانت في الرأس الجديد حيث حياتهم بكل انواعها ومظاهرها.

فبينما كان اللبنانيون ينظرون الى « نجم » كسروان البهيج ، كانت العناية الالهية قد حوّلت نظرها الى نجم آخر اعدّته للموارنة وللبنان ، الى نجم حلتا المعتجب آنئذٍ في رومية وراء البحار والعواصف ، يبتهج بنوره تلامذة المدرسة المارونية ، دون سواهم ، يبتهجون بـه ولا يقدرونه قدره ولو أُعطي لهم ان يدركوا من كان ومن سيكون ذلك الرئيس لطبعوا عليـه عيونهم وقلوبهم ولما فارقوه قيد لحظة طيلة اقامته بينهم رئيساً عليهم !

حملت اسلاك البرق الى رومية نبأ كارثة الموارنة ببطريركهم يوحنا الحاج ، فعظم المصاب على المطران الياس الحويك واتجهت انظاره الى السدة البطريركية واخذ يفكر في من يجب ان يخلف ذلـك الطود العظيم الذي غاص في بحر الابدية ويتأمل في عظم المسئولية التي ستُلقى على كاهله ، ويطلب من الله ان يقيّض لطائفته راعياً حكيماً ، غيوراً ، عالماً ، خبيراً ليسوسها سياسة رشيدة على حسب ما يقتضيه العصر وحاجاته.

كان فكره يجول متنقلاً بين احبار الطائفة يزنهم واحداً فواحداً ليرى من كان كفوءاً لذلك المنصب الخطير السامي والعبء الثقيل . وكان يرى الكفاءة في صديقه المطران يوسف ابي نجم، شأنه في ذلك شأن جميع الموارنة في تلك الايام. وما خطر بباله انه سيكون هو خلف البطريرك يوحنا الحاج ، لانه لم يكن معتقداً بذاته انه افضل من ذاك او من سواه ، ولانـه كان يزعجه كثيراً ركوب البحر في الصيف والبحر صافٍ هادئ ، فكيف بـه وهو وقتئذٍ في ابان الشتاء والعواصف تلو العواصف والاعصار يتبع الاعاصير . وكان الوقت ضيقاً لا يمكنه من الوصول الى مجمع انتخاب البطريرك في الوقت المناسب . كل هذا

جال في خاطره فحسبه دليلًا من الله على انه تعالى لا يريده للبطريركية، فعرضه على مجمع انتشار الايمان المقدس في رومية ليستنير برأيه ويرتشد باوامره ويلقي عن عاتقه عبء المسئولية في ما عزم على عمله بالبقاء في رومية ، فاقنعه مجمع انتشار الايمان بوجوب الرجوع الى لبنان للاشتراك في انتخاب البطريرك. فظنّ انه بمواجهته البابا لاون الثالث عشر يستطيع ان يتخلّص ويتخلّف في رومية ، فجاء الامر معكوساً. لان العناية الالهية ، التي كانت اختارت شطرًا للاون الثالث عشر العظيم نجماً وضّاء ، كانت قد اختارت النجم ذاته طالعاً سعيدًا للبنان بالحويك. فما كان من لاون الثالث عشر الا ان امره بالمبادرة الى لبنان. وكأن ذلك الحبر الاعظم الخالد الذكر بفراسته قد قرأ ما سبقت ورسمته العناية الالهيّة للبنان على يد الحويك فصرّح له بتلك الارادة العالية الابوية . فانحنى الحويك ملبياً اشارة من اشارته حكم مطيعاً لرغبته وغادره وغادر رومية مزودًا ببركته الرسولية متيمناً بها ، متّكلًا على الله مرتمياً بين يدي الرب. فحملته انواء البحر وعواصفه ، وهو لا يعي على شيء من شدة الدوار الذي المّ به ، الى ان بلغ لبنان عند مغيب اليوم الرابع من كانون الثاني سنة ١٨٩٩ . وفي صباح اليوم الخامس من الشهر عينه قُرعت اجراس لبنان من اطرافه الى اطرافه تبشّر الموارنة والبلاد بأن قد ارتقى الى السدة البطريركية الانطاكية على الموارنة المطران الياس الحويك باجماع الرأي بين اساقفة الموارنة في ذلك العهد. فاستغرب الناس عند ما رأوا ذلك النجم الذي ما كان احد يفكر فيه، ولم يكتموا استغرابهم !

غير ان الله الذي ربط حظ الموارنة بالسدة البابوية الرومانية شاء ان يبزغ هذا النجم من ذلك الافق العالي الفسيح ليُفهم الموارنة واللبنانيين ان طالعهم معلّق على تعلّقهم بالسدة الرومانية ، وانهم لتلك السدة الرسولية مدينون بوجودهم الديني وثباتهم الاعتقادي وكيانهم السياسي والمدني، وانهم اذا افترقوا عنه او ابتعدوا قيد شعرة يزول مجدهم ويغيب طالعهم !

فمن كان يظن ان جرس الكنيسة في حلتا يوم كان يُقرَع وحده في حفلة تنصير الياس الحويك قبل ست وخمسين سنة كان يدعو اجراس الكنائس في لبنان

لتشاركه في فرحه ، ولو بعد نصف قرن ونيف. ومن كان يتوهم وقتئذٍ ، ولو في الحلم ، ان صوت ذلك الجرس الذي كان يضيع صداه في اودية حلتا المجاورة بعد ان يتجاوب فيها سيضيع بين اصوات اجراس لبنان المترنحة فرحاً في صباح ٥ كانون الثاني سنة ١٨٩٩ ؟ !

ان ما هو مجهول عند الناس لمعلوم عند الله ، وما هو صغير في عيون البشر لعظيم في عينيك يا رب ! ولكن كم سُمع في لبنان على اثر انتشار بشرى ارتقاء الحويك الى كرسي بطرس الانطاكي كلام يشبه كلام نتنائيل الاسرائيلي الذي لا غش عنده»[1]: «أمن حلتا يخرج راعي الموارنة ؟ ايكون في حلتا شيء صالح ؟»[2]

أجل هذا كان رأي أكثر الناس يوم ذاعت البشرى بالبطريرك الحويك. امّا رأي العناية الالهية فقد كان غير ما ارتأى البشر. فما احسن الاعتماد على الرب وعلى عنايته الصمدانية وما افقر الاتكال على الناس وعلى نظرهم القصير !

ولما قُرعت الاجراس في كفرحي حيث جلس القديس يوحنا مارون ، اول بطريرك على الطائفة المارونية في لبنان ، كانت غرّة ، والدة البطريرك الياس الحويك ، في كنيسة البطاركة هناك تصلّي حسب عادتها التي واظبت عليها بعد إرمالها ثلاثين سنة في تلك الكنيسة لا تفارقها لا ليلاً ولا نهاراً كأنها حنّة النبية تنتظر في هيكل الرب عزاء اسرائيل[3]. فلم تقطع صلاتها ولا سألت عن اسباب قرع الاجراس. فجاءها من بشّرها بارتقاء ابنها الياس الى كرسي بطرس الإنطاكي فقالت : « جعل الله ذلك لخلاص نفسه وخير الطائفة ، وحماه من المجد العالمي . اني اخاف ان يجرّه مجد البطريركية الى المجد الباطل فيضطر ان يتأسف يوماً وهو في ابان العظمة البطريركية على سذاجة حلتا وقداسة الحياة فيها ! فضلوا لاجله » !

عواطف امّ قديسة ما كان يبعدها عن الله وعن سذاجة حياتها شيء من عظمة هذه الحياة !

الّا اننا نستطيع ان نجاوب تلك الام التقيّة بعد ثلاث وثلاثين سنة مضت على ابنها الياس في البطريركية المارونية ، بعد ان بلغ ابنها اوج المجد في حياته ،

١) يوحنا ١ : ٤٧ ٢) يوحنا ١ : ٤٦ ٣) لوقا ٢ : ٣٦ و٣٧

ولم يبقَ مجال للاستزادة ، بعد ان شاهدنا ادوار ذلك المجد في حياته وفي مماته ، أن لا تخافي ايتها الام التقية على ولدك فانه سيعيش في مجد البطريركية كما كان في حضنك وتحت نظرك في مزرعة حلتا الصغيرة ملاكاً في جسم انسان ساذجاً عن حكمة مقدسة في اقواله وفي اعماله ، لا يزهو ولا يتكبَّر ، ينسب كل حسن فيه وكل عظمة ينالها وكل كرامة تأتيه وكل نجاح يصيبه الى الله وحده والى عنايته الصمدانية ، مغمضاً عينيه عن ذاته كما اغمضها عن المجد والكرامة اللتين كُفّن بهما يوم دفنته التي ما رأى لبنان ، ولا الشرق لها مثيلاً في جميع تقلّبات ايامه ولا دُرج في صفحات تاريخه صفحة شبيهة بتلك الصفحة الخالدة. ألا قرّي عيناً فهذا الولد هو قرّة لعينيك كما دعا لكِ ولوالده نسوة حلتا يوم وضعتِه غلاماً في دُجى ذلك الليل البهيم ليل ٤ كانون الاول ١٨٤٢ !

انا اعتقد ان صلوات تلك الام وسذاجتها وتواضعها وقداستها هي التي اوصلت الياس الحويك الى ما اوصلته. فما اعظم الام التي تصلّي وتكون قديسة ، انها تكون كنزاً للوطن عند الله وعند الناس ، ولا غرو فانّا قد تعوّدنا ان نرى الى جانب كل قديس وكل عظيم اماً عظيمة وقديسة . فالى جانب القديس اغوسطينوس فخر افريقية ومجد اساقفتها وعمود الكنيسة الجامعة وملفانها ، نرى امه القديسة مونيكا التي ردت اغوسطينوس بصلواتها الى الله فكان منه ما كان ومن كان . والقديس لويس التاسع ملك فرنسة يكاد يحتجب بجلالته وعظمته امام عظمة امه الملكة بلانش ده كاستيل ! وهكذا دواليك كلما تلَونا تواريخ الرجال العظام في الدين والدنيا.

* * *

قد تساءل الناس في ذلك العهد ، ونحن نتساءل معهم اليوم ، ما الذي حمل الاساقفة الموارنة آنئذٍ فانتخبوا المطران الياس الحويك بطريركاً ولم يختاروا المطران يوسف ابا نجم كما كان يتوقع الرأي العام في الطائفة والبلاد ؟ وما هي الوسائط البشرية التي استخدمتها العناية الالهية حتى توصلت الى غرضها رغم اغراض الناس وظنونهم ؟ ان من امعن النظر في المسألة وحكّم عقله وحكم على الاشخاص كما كانوا وليس كما يريد ، تتجلى له الحقيقة بأجلى مظاهرها .

نظرة الأساقفة الموارنة المجتمعون وقتئذٍ في بكركي الى كفاءة كل منهم ، فوجدوا ان الحويّك كان المطران الذي اختاره البطريرك الراقد بالرب ، يوحنا الحاج ، من كان يعرف زمانه ورجاله افضل معرفة ، ليحقق افكاره ومشاريعه الكبيرة فأسند اليه الاهتمام بإحياء مدرسة رومية ، وبانشاء الوكالة البطريركية في القدس ، وبالحصول على كراسي مجانية للاكليريكيين الموارنة في باريس وبتأسيس جمعية راهبات العائلة المقدسة المارونيات . وان الحويك كان عند حسن ظنّ ذلك البطريرك المقدام ، وانه قام بمهمته احسن قيام وفاز بها سريعاً فوزاً لم يسبقه اليه احد قبله ، اذ كان سبق فعُهد الى بعض الاساقفة السعي لتجديد مدرسة رومية مع التفويض اللازم لذلك فلم يفز احد منهم في مهمته . ووجدوا ان الحويك كان اوسعهم علماً واكثرهم اختباراً قد تمرّن بالاسفار ، واحتكّ بكبار الدين والدنيا في الشرق والغرب ، وكان قريباً من قلب الحبر الاعظم بابا رومية لاون الثالث عشر ، وتلميذاً من خريجي جامعة انتشار الايمان المقدس . ورأى المطران ابو نجم المرشح الوحيد الذي كان يزاحم الحويك ، ان الحويك صديقه الصدوق ، ورجل الساعة بعلمه وفضله ، فتناسى شخصيته وبرزت امامه شخصية الحويّك لامعة لا تشوبها شائبة ، فقال مع القديس يوحنا المعمدان : « له ينبغي ان ينمو ولي ان انقص .»[1] فآثر ان يتنازل لصديقه من ان يتشبث بذاته ليظلّ السلام سائداً في ربوع الطائفة ولينجو من المسئولية العظيمة في تحمل مشاقّ البطريركية . فالعلم الراجح في الحويك والفضيلة الممتازة ، والاختبار الطويل ، والثقة العمياء التي كانت للبطريرك يوحنا الحاج فيه وفوزه في ما اسنده اليه من المهامّ الخطيرة ، وحكمة وتضحية المطران ابي نجم والرغبة في اجراء الانتخاب البطريركي بدون اختلاف خشية من ازعاج رومية ، كل هذا ألجأ المطران ابا نجم ليقول لاصحابه لا تقترعوا بعد لي ولكن لأخي المطران الحويّك فهو افضل مني . قال هذا وفعله امام الجميع ، فكان كبيراً بتنازله وتواضعه ، كما كان كبيراً من قبل بعلمه وفضائله . وكان من وراء عمله ان العناية الالهية اتمت مقاصدها وفازت بمن شاءت .

---

١) يوحنا ٣ : ٣٠

ان اتحاد الموارنة برومية تظهر نتائجه الحسنة في مثل تلك الظروف لان معرفة الاساقفة اصحاب الحق بانتخاب البطريرك ان اختلافهم قد تكون عاقبته الالتجاء الى رومية للفصل فيه ، ولحرمانهم من حق لهم مقدس اساؤوا استعماله ، تضطرهم الى الاستمداد والتفكير ، والحرص الشديد قبل الاقدام على عمل يخسرهم حقهم او يشير الى انهم ما عرفوا الاستفادة منه . وهم في هذا امثولة لغيرهم من الطوائف الغير الكاثوليكية ، ومثال يُستفاد به منهم لدوام الاتحاد مع رومية .

فبارك الله باتحاد يفيدنا للارض وللسماء وسلام على أرواح اولئك الاساقفة الذين عرفوا ان ينظروا الى مصلحة الطائفة ويفضلوها على مصالحهم الشخصية ، الذين آثروا مجد الطائفة ومجد الكنيسة ومجد الله على مجدهم الخاص . ان اجيال الملة المارونية واجيال لبنان تعترف بجميلهم وتبارك الى الدهر اسماءهم وتخلد لهم ذكرهم . وتباركت العناية الالهية التي تسخّر لارادتها العقول والقلوب من كبار الناس وصغارهم !

نظرة الى البطريرك

اذا انت رمقت الكوكب بنظرك تراه كله ، او اذا انت رفعت لحاظك الى لبنان من بعيد وانت راجع اليه من المهجر على ظهر السفينة تشاهده جميعه بعظمته وجلاله يناطح السماء بآكامه الدهرية البيضاء ثلجاً ، ويحتاط بسواحله مع البحر وباطرافه المرتفعة مع الافق والفلك العالي . ولكنك اذا دنوت من لبنان بذاتك ووقفت في وادٍ منه او في اي مكان فلا يقع نظرك الا على بقعة منه صغيرة هي الاقرب اليك ، ويغيب الباقي عنك فتصرف الايام وربما الشهور ، تتنقل فيه من بقعة الى بقعة على قدميك او في سيارة لتراه جميعه وتعجز ويعييك التعب . واذا ادناك المنظار المكبّر من الكوكب لا تشاهد منه الا نقطة من بحر لا شيء فيها من جمال ذلك الكوكب السيّار ولا من سنائه ! هكذا يكون حظك من الرجل الكبير الطويل العمر الكثير الاعمال ، اذا انت رمت ان تقرأ سفر حياته جميعه يوماً فيوماً ودقيقة فدقيقة . انك تضيع بين المألوف والتافه من اعماله وبين الخطير والنادر القياس منها فلا تدرس الانسان الكبير بوقائع ايامه كلها ، بل قف على جبل عالٍ من بعيد ، وانظر

اليه جيلًا عالياً بعيدًا عنك فتمتع لحاظك بعظمته وشموخه في الفلك العالي مجال ضبابه وسفوحه واوديته وصخوره ، فتهيب وتدرك كل حدوده بلحظة عين دون ان ترجع نفسك كثيرًا . واكتفِ بان تقف ببصرك على بعض ما يلفت النظر من ساحر الجمال وجلال الخلق . قف بعيدًا عن الرجل الكبير وادرسه بمجموعه فتراه كله ، وخذ لك من حياته امثلة يكون لك اي منها انموذجاً في الحياة . اني اعتمدتُ ألّا افعل الا هذا في اللمحة الوجيزة التي اضعها عن البطريرك الحويك . وما عساني اورد في هذه الفذلكة عن رجل عظيم عاش تسعين حولًا تقلّب فيها في جميع المناصب الدينية وقابل اعاظم عظماء الارض من سلاطين وامبراطرة وملوك ورؤساء جمهوريات الى ان صار عميد لبنان فكان للبنان تاريخاً حافلًا بالاعمال الكبيرة وبالمآثر الخطيرة في قرن كامل ؟!

وما عساني اقول عن بطريرك قضى ثلث قرن بطريركاً حدثت في ايامه حوادث خطيرة غريبة من حرب عالمية ومجاعات ونوائب ، ومن سقوط ممالك وقيام أخرى على انقاضها ، ومن زوال سلطنات وامبراطوريات من سفر الوجود الدولي ، ومن رجوع الاستقلال الى لبنان بعد ان فقده ثمانين حولًا ؟!

لهذا اني اعرض لانظار القارئ الكريم هيكل تاريخ الحويك في بطريركيته موردًا خطوط رسمه الجليل خطاً خطاً ، ذاكرًا موقفه من ربّه ، ومن طائفته ، ومن رومية ، ومن فرنسة ، ومن لبنان ، ومن سائر ما يتفرّع عن ذلك.

غير اني قبل ان اشرع في التفصيل استعير القلم العلي السيّال ، قلم الاسقف المجدي الفم والقلم ، الاصيل الرأي ، فخر الاسرة البستانية بحكمته ورقّته واجتماع القلوب على محبته ، المطران اغوسطين البستاني الذي ما عرف احد ان يصوّر البطريرك اللبناني بريشته كما صوّره هو ببراعته الخلّابة فقد صوّر اخلاق البطريرك كلها فاجاد واصاب بل اجاد وبلغ حد الاعجاز وما ترك لمستزيد مجالًا ، وصفه في الكوكب السيّار الذي دوّن فيه حوادث رحلة البطريرك الحويك عام ١٩٠٥ الى رومية فباريس فالاستانة ، قال ص ٢٠ :

« وقصارى الكلام ان غبطة سيدنا وأبينا المطوّب جمع من الكمالات والفضائل ما قلّما يجتمع لافراد الرجال فزيّنها بالمآثر وحسن الاعمال . وهو ،

غرّة الحويك

والدة المثلث الرحمات البطريرك اللبناني الياس بطرس الحويّك

حرسه الله ، كما هو معلوم عند الجميع ، شديد الثقة بالله والاتكال عليه ، عزّ ثناؤه ، طاهر الذيل ، طيّب السريرة ، حرّ الضمير ، عزيز النفس ، سخي اليد ، نافذ البصيرة ، قوي الذاكرة ، رائق الذهن ، رحب الصدر ، قرن الفطنة بالشجاعة والعدل بالرحمة ، لا يحابي بالوجوه ، ولا يميل عن قصد السبيل ، رضيّ في كلامه ، صادق في روايته ، وفيٌّ بوعده ، لطيف بمحاضرته ، مهاب في مجلسه ، بعيد عن الغضب ، قريب الى العفو ، أب وديع ، ورئيس حكيم ، ساهر على اعمال وظيفته السامية فلا يُقضى منها عمل ولو طفيفاً الا بعلمه وامره ولذلك يُرى مقامه البطريركي ، الذي ملأه بمناقبه الغرّاء ومزاياه الفريدة ، موضوعاً لاجلال العظماء ولاحترام كرام الناس من كل ملة ونحلة ورتبة ومقام»[1].

هذه صورة البطريرك الحويّك منذ ارتقى الى السدة البطريركية سنة ١٨٩٩ الى عهد وصفه الكاتب الالمعي الامين سنة ١٩٠٥. هذه صورته من ذلك الوقت الى وفاته كما عرفتها بذاتي مراراً ، وكما عرفها كل من تقرّب من ذلك الرجل العصامي القديس واللبناني الفذّ. هذه هي صورته كما سمعنا بها ممن عرفوه مطراناً وكاهناً واكليريكياً ، فقد كان كجبل صنين الذي وُلدنا وعشنا ونموت وهو ماثل امامنا ، جبلاً عالياً مهيباً لا يتغيّر ، بل كالارز الخالد في لبنان الذي يحيا وينمو ، وتتفيّأ في ظلاله الاجيال والشعوب اللبنانية ، وهو هو كما كان لا يتغيّر في جوهره ولا في نضارته ولا في جماله.

هذه صورة الحويّك كما كان في جميع ادوار حياته. وقد رأينا شيئاً منها في ما اسلفنا فقلناه ، وسنرى الباقي في ما سنسرده بالاختصار من وصف حياته ولا سيما في عهد بطريركيته. وقد سبقت فوضعت صورة البطريرك كتابةً ووصفاً كما اعتاد الناس ان يصدّروا تراجم العظماء بصورهم الشمسية!

---

١) راجع الكوكب السيّار في رحلة . . . مار الياس بطرس الحويك . . . الى رومية وباريس والاستانة العلية ، وهو سفر نفيس من اغنى ما كتب في الرحلات اجتمع فيه من الفوائد ما ندر ان يجتمع في سواه. كُتب برقة وسلاسة وانسجام اقل ما يقال فيه انه السهل الممتنع، صفحاته ٢١٢ صفحة، وهو صفحة مجيدة من حياة البطريرك اللبناني لا غنى لمن يريد ان يتعرّف جيّدًا الى ذلك البطريرك العظيم عن مطالعتها كلها. والادب والتاريخ مدينان جما لعلم سيادة المطران البستاني عهد كان لا يزال قسّاً ناشئاً عاماً للرهبانية الحلبية اللبنانية المارونية.

القُفّة

حكاية

بقلم يوسف غصوب

١

كانت الباخرة تشقّ بنا عباب اليمّ ، وكان صديقي «جوّاب» متكئاً على الدرابزين ، ينظر الى البحر تارة والى الافق أخرى ، ولسانه لا يكلّ ولا يملّ من الثرثرة وسرد الاخبار. فانّه رحّالة لم يترك بلداً الّا زاره ، ولا قطراً الّا راده . وقد التقط في تنقلاته واسفاره من القصص والروايات ما يملأ المجلدات.

وكان ان التفت التفاتة الى عرض البحر ، فبدت له في الافق البعيد ، تحت اشعة الشمس الجانحة الى الغروب ، جزيرةٌ كأنها مركب عظيم . فصفّق بيديه ، واشار الى الجزيرة قائلاً :

ــ اترى هذه الجزيرة في الافق ؟ ان لها ، والله ، لخبراً غريباً . لم تكن منذ خمسين سنة شيئاً معروفاً بل ارضاً خاوية خالية كجزائر السندباد البحري . اما الآن فقد سارت في سبيل التقدم والعمران شوطاً بعيداً . الا تسألني كيف كان امرها ؟

فقلنا له : وهل ندع احداً يسألك شيئاً ؟ فانك لا تفتأ تتكلم.

وكنا قد اقتربنا من الجزيرة بعض القرب ، فظهرت فيها آيات العمران من بنايات عالية ، واشجار باسقة ، وقد اخذت الاشعة الكهربائية تمتد في جنباتها وتنعكس في شواطئها . ثم تابع جوّاب حديثه فقال :

ـــ إنّ قصتي هذه لأشبه شيء بقصص الجائز . على انها صحيحة لا شك فيها ، وقد قرأتها في الكتب ، وسمعتها من سكان الجزيرة :

قيل ، والله اعلم ، انه كان ، غير بعيد من هنا ، على ساحل البلاد اليمنيّة رجل قد اطمأنت نفسه الى الخير ، وانفتح قلبه للشفقة والرحمة . فما كانت تسنح فرصة الّا اغتنمها لسداد عوز او دفع كربة . وكان في سعة من العيش تمكنه من الاحسان والاستسلام لاعمال البر ومساعدة الفقراء والبائسين . وكان قد اخذ على نفسه عهداً ان لا يترك يوماً يمرّ به دون ان يأتي صنيعاً او معروفاً . وقد حفظ من الامثال السائرة شيئاً كثيراً بمعنى :

اصنع جميلًا ، ولو في غير موضعه ، فلا يضيع جميل اينما صُنعا

و من يصنع الخير لا يحرم جوائزه ، لا يذهب العُرف بين الله والناس

و « اصنع جميلًا وارمِ في البحر » الخ .

وقد اشتهر امر صاحبنا حتى اصبح يُشار اليه بالبنان . وانقسم الناس فيه فئتين : فمنهم من اعجب به ، ومنهم من جهله وعدّه من البلهاء . على انه كان في المدينة فئة ثالثة مغرمة به ، وهي فئة الفقراء والمحتاجين . فانه ما كان ليميّز في احسانه بين النوعين .

واتفق يوماً ان هذا الرجل قضى نهاره ولم يتسنَّ له ان يحسن الى احد . فرجع الى البيت حزيناً كئيباً ضيّق الصدر ، كأنما هو ينتظر كارثة او شرّاً . ولما رأته امرأته على هذه الحال اضطربت وقلقت فسألته عمّا به ، فقال لها :

ـــ أرى ان اهل المدينة قد اثروا جميعاً ، فاني لم اتمكن هذا اليوم من اعانة احد .

ـــ ازك لا تزال على شنشنتك هذه . ترمي دراهمك من النوافذ ولا تفكر في غدك . ثم تحزن لانك لم تستطع التبذير يوماً واحداً . فوف يكون لك آخرة تأكل فيها نعلك ! الا تشكر الله ان نعمه قد عمّت حتى اصبح جميع الناس في غنى؟

ـــ ولكن ... والعهد الذي قطعته على نفسي ؟..

وجلس الرجل على شرفة في داره تطلّ على البحر . واخذ يدخن «اركيلته» ،

ويفكر في امره مُقطّب الحاجبين كانه يحلّ أزمة عالميـة . وانتبه الى البحر فاذا الامواج في هياج عظيم تعلو وتخفض وتتكسر على الشاطئ وعلى جوانب البيت وتضج ضجيجاً هائلاً ، كانما هي نفوس غرقى تطلب النجدة.

وما هي الا هنيهة حتى مرّ امام عيني صاحبنا المثل القائل « اصنع جميـلاً وارمِ في البحر ». فقام لساعته يصفق بيديه وينادي امرأته باعلى صوته قائلاً : « وجدت ! وجدت ! »

فهرولت المرأة خائفة على زوجها ، ظانة انه اصيب بمسّ من الجنّ . فلما صارت بالقرب منه قال لها :

ـــ اسرعي ، اسرعي . هيئي طعام عشرة او عشرين من الرجال وضعي الكل (الطعام لا الرجال) في قفة ، واحكمي سدّها لنلقيها في البحر . اما سمعتِ المثل : « اصنع جميلاً وارمِ في البحر ! »

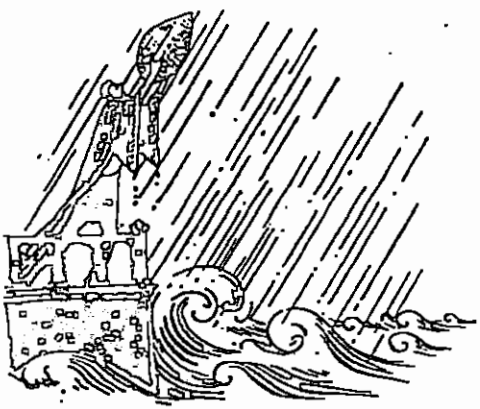

ولما انجزت المرأة عملها اخذ الرجل القفة بكلتا يديه ، ورفعها في الفضاء كانها تقدمة للآلهة ، ثم رماهـا في اليمّ المضطرب . فغاصت ثم عامت ، واخذت تعلو وتسفل مع الامواج حتى غابت عن الابصار . . .

٢

كان في ذلك الوقت باخرة بين ايدي العاصفة تنادي المدد وتطلب النجدة ، ولا من مجيب . فقاومت الرياح ما استطاعت ، ثم انتصرت عليها الرياح ، فانكسرت وابتلعتها المياه ، وانتثر ركابها في اليمّ ، فمنهم من غرق ، ومنهم من حملتـه الامواج على بعض الانقاض الى جزيرة قريبة (وهي هذه الجزيرة التي تراهـا الآن)

ولمَّا أشرق الصباح ، وعاد الى الذين نجوا من الغرق روعهم ، هنأ بعضهم بعضاً بالنجاة . ثم نظروا الى الجزيرة ، فاذا هي مقفرة قاحلة ليس فيها الا بعض شجرات لا ثمار عليها ، ولما طال بهم الوقت جاعوا وعطشوا واخذوا يتخوَّفون من مغبَّة امرهم . وكانوا قد نصبوا عوداً على شكل سارية فوق رابية وعلقوا فيه قميصاً يستلفتون به ما يمرّ من المراكب .

وكان هؤلاء الناس من السيّاح الاميركانيين ذوي الثروات الطائلة . فشقّ عليهم ان يصبحوا بين ليلة وضحاها أُلوبة في ايدي الجوع والشقاء ، وقد كانوا بالامس ملوك العالم لا ينال النظر اعالي رؤوسهم لارتفاعها ، ولا تسهم ثيابهم لانتفاخها بالعظمة والعجرفة . فجلسوا بعضهم قبالة بعض يحاولون التحدّث والهزل ، ولا يصعد من صدورهم الّا التأوّه والتولّه . ثم اخذوا ينذرون النذور . فقال احدهم : انا ان نجوت بنيت كذا وكذا كنائس . وقال آخر : انا ان خلصت من هذه المصيبة شيّدت المستشفيات . وقال غيره : افضل شيء نصنعه هو تعمير هذه الجزيرة ، حتى اذا التجأ اليها غيرنا من الغرقى وجد فيها ما نحن معوزون اليه الآن . وبينما هم كذلك ، اذ بدا في البحر شيء مستدير يرفعه الموج ويضعه ، وهو يقترب من الشاطئ . فوقف الجميع يحدّقون الى هذا الشيء المستدير ، وقد برقت في عيونهم بوارق الامل . ولم يتمالك احدهم ، فنزع ثيابه ، ورمى بنفسه في البحر ، وسبح حتى وصل الى ذلك الشيء . فاذا هو قفة كبيرة محكمة اللفّ . فاخذ يدفعها امامه حتى صارت عند رفاقه . فاجتمعوا حواليها حلقة وفتحوها . ولمَّا وقع نظرهم على الطعام تخاطفوه تخاطفَ الاولاد . ولمَّا شبعوا عادت اليهم نفوسهم وابتساماتهم ، وقاموا يتجوّلون في الجزيرة ، وقرروا استثمارها شأنَ الاميركانيين في كل امر . فألفوا شركة وعينوا عدد الاسهم والسندات . واول شيء اجمع الرأي عليه ان يشيدوا مطعماً للغرباء والفقراء يأكلون فيه ثلاثة ايام مجاناً ، يفتشون في اثنائها عن عمل او خدمة في الجزيرة .

وبينما اصحابنا منهمكون في وضع الخرائط والرسوم ، اذ بدت باخرة تطرز الافق بدخانها ، فصعدوا جميعاً الى الرابية حيث نصبوا الاشارة واخذوا

يلوّحون بتاديلهم ويصيحون باعلى صوتهم ، حتى انتبــه اليهم الربان فارسل الزوارق ...

٣

الاميركان ! وما ادراك ما الاميركان ! قوم سريعو العمل لا يترددون في امر قرروه . لم يمض بضع سنوات حتى اصبحت الجزيرةُ عامرةً آهلة ، يسبح في سمائها دخان المعامل ، وتمجّ في بطونهــا المحرّكات والآلات ، وترسو في مرفأها اضخم البواخر في طريقها الى الشرق الاقصى . وقام في وسط الجزيرة مطعم عظيم يأتيه الناس من كل مكان يأكلون فيه ويشربون مدة ثلاثــة ايام مجاناً ، ولا من يسألهم عن اسمهم ولا عن قصدهم.

واشتهرت الجزيرة في الانحاء ، وامتدّ صيتها الى اقطار العالم ، حتى انهــا كثير من المهاجرين والفقراء . فكانوا يجدون فيها العمل ، وبعض الاحيان الثروة.

٤

وكان ان غمرت البلاد التي منها صاحبنا ابو القفة أزمةٌ شديدة اخــذت بخناقها ، فدكّت الثروات واهلكت التجارات ، فكانها الازمة التي يتخبط بها العالم الآن . وقد اقفلت في وجه صاحبنا ابواب الرزق فبات على اشدّ حالات الفقر . وكان اذا مرّ به الذين كان يحسن اليهم يحوّلون عنه وجوههم ويتجنبونه كمــا يُتجنب الابرص والاجرب . فضاق صدره بل ضاقت الدنيا في عينيه . وكان اذا جاء بيته مساء لاقى من قوارص امرأته ما يزيــد في كربته . فانها كانت تواجهه بكلام جاف غليظ ، او تذكّره بما كانت تؤدي لــه من النصح ايام كانا في رغد العيش ومجبوحته ، ليكفّ عن احسانه وكرمه . وأيسر ما كانت تقول له مثل هذه الجمل :

ــ اين من اكرمت ومن اسعدت ومن دعوت الى طعامك ؟ اين فائــدة الصنيع والمعروف ؟ قد استجهلك الناس فذق طعم ما قدمت . وهل بلغ احد مــا بلغت من الجنون ، فانك قــد اطعمت البحر « اصنع جميــلًا وارم في البحر .... » الى غير ذلك.

وسمع يوماً صاحبنا بقصة الجزيرة ، وان موارد الرزق فيها كثيرة . فاعدّ عدّته وابحر وامرأته اليها . ولما وصلاها ذهبا توًّا الى المطعم ، فاقاما فيه يأكلان ويشربان ثلاثة ايام . حتى اذا انتهت هذه المدّة ، جاء مدير المطعم وسأل الرجل عما هو مزمع ان يصنع ، فاجاب :

ـــ نحن غريبان في هذه الجزيرة ، نفتش عن عمل نعيش به . وما لنا المام بشيء ، لاننا كنا على جانب وافر من الثروة ، ثم افتقرنا .

ـــ هل تخدمان في هذا المطعم ؟ فاننا بحاجة لغسّالة ، و« وغلام » يقدم الطعام .

ـــ يعزّ علينا ان نصل الى هذه الدرجة من الفاقة ... ولكن « ان لم يكن ما تريد فارد ما يكون ! »

ولما اعلم امرأته بالامر ، اخذت تنتحب وتبكي .

وكان لمدير المطعم اولاد صغار ، فدفعت مدامته ثيابهم للمرأة لتغسلها في المطبخ ، فعضّت على جرحها ، وجلست امام « اللكن » تفرك الثياب ، وعقلها شارد ، وقلبها اسود .

ثم حانت منها التفاتة الى الجدار ، فاذا القفة ... قفتها التي وضعت فيها الطعام ، والقاها زوجها في البحر ، معلقة هناك . فتساقطت الدموع من عينيها ، واخذت تشهق كانها ولد صغير .

وكان ان دخلت المطبخ في اثناء ذلك امرأة المدير ، فرأتها على تلك الحال ، فتطيّرت وغضبت وصاحت بها :

ـــ يا لكِ من شقيّة ! ما هذا البكاء ؟ اتغسلين ثياب اولادي وتبكين ؟ تباً لك من امرأة حمقاء ! اغربي من وجهي ... لا رأيت بعد اليوم سحنتك المشؤومة !

فقامت تتعثّر باذيالها حتى اتت زوجها فاخبرته بما كان ، فطيّب خاطرها . ثم قصد المدير ، فاطلعه على ما بدر من امرأته ، واردف قائلًا :

ـــ يا سيدي المدير ، ليس الامر كما توهمت سيدتي . فان بكاء امرأتي لم يكن لغسلها ثياب الاولاد ، حفظ الله اولادكم ، ومتّعكم بهم . انما كان

بكاورها لقفة رأتها في جدار المطبخ : وهذه القفة هي قفتها ، وكان من امرها كذا وكذا . . .

واخبره بقصة القفة .

فما اتمّ حديثه حتى صاح به المدير :

ـــ او انت صاحب القفة !!!

ثم ارتمى عليه فعانقه وقبّله . ثم جرّه بيده ، وهو ينادي : « هـذا هو صاحب القفة . »

فاجتمع عليهما خدّام المطعم والناس المارّون من هناك ، واخـذوا كلهم ينادون : « هذا هو صاحب القفة » . وصاحبنا مبهوت يفتح عينيـه ، وينظر الى القوم متسائلًا عمّا نزل بهم .

وبعد ان عاد الهدوء قليلًا ، قال له المدير :

ـــ ان الشركـة التي تستثمر الجزيرة كان من امر اعضائها ان قفتـك خلصتهم من الهلاك . . . وقد قررت ان تجعل صاحب القفة ، ان وجدته ، غنيًا سعيدًا ومديرًا لهذا المطعم مكافأة له على صنيعه . . والحمد لله قـد وجدناك . . .

وتابع « جرّاب » قائلًا : غدًا نتزل الى الجزيرة ونشاهد هذا المطعم الذي يدعى « مطعم القفة » ، وقد كتب على جدرانه على شكل رسوم منقوشة في المرمر ، هذا المثل :

اصنع جميلًا وارمِ في البحر .

أبحاث تمهيدية لدرس فلسفة العرب : ٢

الترجمة والمترجمون

بقلم الخوري يوسف فارس ، من اساتذة كلية القديس يوسف

ما اصدق كلمة فاه بها احد المؤرخين متكلماً عن دور سورية في العالم القديم اذ قال: «كان اهلوها من ممدني العالم وحاملي لواء الحضارة الى الشعوب». وان التاريخ ليكشف لنا الستار عن حقيقة هذا الدور متى تصفحناه ، ووقفنا على حياة ذاك الشعب السوري واعماله الخطيرة في سبيل رقي المعمور وتقدّمه ، وقرأنا تلك السطور الخالدة التي كتبتها يد الزمان اكراماً لمجد اثيل وذكر لا يموت.

فان كان على شواطئ سورية نشأ الشعب الفينيقي الذي حمل الى اطراف الارض ، على شراع تتقاذفه الامواج ويتقلّب مع مهبّ الريح ، ثمرات روحه النشيطة ، وعلّم الامم اساليب الزراعة والصناعة والتجارة ، ووضع تلك الحروف العجيبة التي نجمل منها قوالب لسكب افكارنا ؛ ففي سورية ايضاً عاش مَن كان لهم الفضل في نشر الفكر اليوناني في الشرق ، في حمل ثمرات عقول فريدة الى مدنية لم تحلم بمثلها من قبل. اعني بهؤلاء المترجمين من سريان وغيرهم الذين استقوا عن الاغريق فلسفتهم وعلومهم ، ووضعوها في اللغة السريانية اولاً ثم نقلوها الى العربية ، لغة الاسلام في العصور العباسية. وسوف نلقي نظرة اولى على التراجم السريانية فنتكلم قليلاً عن قيمتها ، ونشير الى اشهر النقلة اليها. ثم ننتقل سريعاً الى ما يهمنا خاصة ، اي الى التراجم العربية التي نحن في صددها.

التراجم السريانية

كانت فتوحات الاسكندر واسطة لتعارف الغرب والشرق ، واحتكاك مدنيتين عريقتين في القدم والتقدّم: حضارة الاغريق التي كانت اذ ذاك في اوج

علاها ، وحضارة شعوب تفتخر بانها مهد الترقي والعمران كالاشوريين ، والفرس ، والهنود ، والسوريين .

لم تكن نتيجة هذا الفتح العظيم منحصرة بان خضع المغلوب صاغراً للغالب مقدماً له الجزية حاني الرأس امام جحافله ، بل دان ايضاً لسطوته المعنوية ومشى تحت شعار مدنيته .

لم يكتف المكدوني المنتصر بان تسيطر بلاده على الاجسام ، لكنه اراد ايضاً ان يمتد تأثيرها الى العقول ، فكان ، كما دعاه التاريخ ، من قادة الفكر البشري .

وبين الشعوب التي اثرت فيها المدنية اليونانية وانصبغت زمناً بحضارتها ، نذكر اولاً سورية . فانها عُرفت منذ البدء بمقدرة غريبة على ان تتمثل كل ما تشاهد فيه غذاء حياتها المادية والروحية . فانها لم تتعرف الى علوم الاغريق ومعارفهم حتى فهمت ما يوسعها ان تكتسب منها ، واخذت بكل نشاط تقتبس دون انفة ولا خجل من منتوجات مشاهير اليونان ، وتدرس على فاتحيها آثارهم النفيسة ، حتى بارتهم او اوشكت ، وغدت بلاد سورية اغريقية ثانية . ومن العلوم التي اخذتها عن اليونان وبرزت بها كانت الفلسفة ، فكان السوريون يشتغلون بهذا النوع مستخدمين لغة اليونان او لغتهم بواسطة المترجمين الذين نقلوا الى السريانية .

ابتدأ عصر ترجمات الفلسفة اليونانية الى اللغة السريانية في القرن الرابع ، وامتدّ الى القرن الثامن .

واول مترجم نعرفه هو بروبوس . فقد كان قسًّا ، يشتغل بصناعة الطب . عاش في اوائل القرن الخامس ، وشرح مؤلفات ارسطو الجدلية ، وكتاب الإساغوجي لفرفوريوس الفيلسوف . واشتهر خاصة اذ ذاك بين المترجمين سرجيوس الذي توفي بعمر سبعين عاماً في القسطنطينية سنة ٥٣٦ ، وكان قسًّا وطبيباً ايضاً علّم في مدرسة الاسكندرية ، وكان لتعاليمه مركز سام . وترجم سرجيوس عن اليونان العلوم الالهية والاخلاقية ، والعلوم الصوفية ، وشيئاً كثيراً من صناعة الطب .

ولم ينطفئ سراج الترجمة والنقل بعد احتلال العرب لسورية بل ظل السوريون متمكنين على الشغل بالعلوم اليونانية وخاصة بالفلسفة . فنشاهد في ذاك الوقت يعقوب الرهاوي يترجم الى اللغة السريانية العلوم الالهية والمنطقية ، فيبادر اليه الطلاب من مسيحيين ومسلمين يبغون الوقوف على اسرار الفلسفة ، فيتساءل برهة هل يُباح للاكليروس ان يعلموا اولاد المسلمين دون ان يخلّوا بالشريعة . وهذا يدلّنا على انتشار وشهرة تعاليمه في سورية .

واما حكمنا على قيمة هذه التراجم فنقدر ان نقول انها مطابقة بالاجمال للاصل اليوناني . نقول « بالاجمال » لأن السوريين لم يحكموا تماماً تلك التراجم على كونهم قد تعمقوا باليونانية ، ووقفوا على اساليبها ، واشتهر منهم فيها كثيرون ، حتى ان القديس يوحنا فم الذهب مثلاً كان يعدّ من أئمتها .

انما الوقوف على اللغة وحده ليس كافياً في مثل هذه العلوم ، بل يجب ايضاً على المترجم ان يكون مطلعاً تمام الاطلاع على عقلية وحياة المؤلف ، وخبيراً بعقيدته الدينية التي لها تأثير مهم في الفلسفة . وهذا لم يتوفر كثيراً للسوريين النصارى الذين كانوا غرباء عن ديانة الاغريق ، وبعيدين عن عقليتهم ومعتقداتهم . لهذا يجب ألّا يأخذنا العجب اذا شاهدنا الفريق الاكبر من النقلة في هذا العصر يخطأون في فهم النصوص اليونانية رغم تبحرهم في هذه اللغة ، او يتركون فراغاً عند عجزهم ، ثم احياناً يجتهدون في ان يملأوا الفراغ من عندياتهم . وبما انهم كانوا نصارى ، ومن الاكليروس ، كانوا يلتجئون بالطبع لسدّ الفراغ الى تعاليم النصرانية والى مؤلفات بطرس وبولس وسائر الكتب المسيحية . وقد كانت تدفعهم احياناً عاطفتهم الدينية وعقيدتهم الراسخة الى تمحيص هذه الفلسفة قبل نقلها الى لغتهم ، فلا يقبلون ما كان فيها مناكفاً للمسيحية او يعطون ما كان وثنياً منها صبغة مسيحية ، غير عابئين للتصحيف والتحريف . فتصبح في تراجمهم الهة الاغريق العديدة الهاً واحداً سرمدياً ، والقدرُ عنايةً الهية ، ويلبسون رداء مسيحياً كل ما يتعلق بالعالم والابدية والخطيئة . وهكذا تطلعنا تآليفهم على فلسفة يونانية في قالب مسيحي .

التراجم العربية

من تصفح تاريخ دول العرب ووقف على فتوحاتهم ودرس آدابهم تأكد ان السوريين في كل هذا يداً قوية وفضلاً لا ينكر. فهم الذين ، في عهد الدولة الاموية ، هذبوا فاتحيهم وصيغوهم بمدنيتهم ، ومشوا في طليعتهم نحو الفتح والاستعمار ، ومرنوهم في فنون الحرب ، وجعلوا من قبائل الغزاة جيوشاً منظمة ودولة مهابة . وقد عرف معاوية فضل السوريين وفهم انهم وحدهم لحريون ان يكونوا اساس مملكة واسعة ودعائم ملك عظيم ، فقربهم اليه واستفاد من خدماتهم الجليلة . فكنت ترى اذ ذاك المهندسين والبنائين وارباب الحروب والبحريين والكتبة والصيارفة واصحاب الدواوين سوريي الجنس حتى ان اهل الجزيرة اخذوا بالتشاغ ، وخافوا على نفوذهم تجاه هذه السيطرة السورية.

وان لم يبقَ للسوريين في الدولة العباسية ذاك النفوذ الذي عرف لهم ايام الامويين ، وان تكن انتقلت عاصمة العرب من سورية الى العراق ، وحلت بغداذ محلّ دمشق الشام ، فرغم كل هذا نرى دور السوريين لم يتلاشَ ، وتأثير مدنيتهم لم يزُل . فقد كانوا حملة العلوم والمعارف الى العرب وناشريها بينهم.

وبين العلوم الدخيلة التي نقلها السوريون للعرب كانت الفلسفة المأخوذة عن الاغريق . فقد عرفوها بواسطة التراجم ؛ وهي ما نبحث فيه اليوم.

تبتدئ التراجم العربية في اوائل القرن الثامن ، اذ اخذ بعض العلماء السوريين ، تحت رعاية وكنف الخلفاء العباسيين ينقلون تآليف اليونان الفلسفية الى العربية ، معرّفين العالم العربي ، الذي كانت تقتصر معارفه على شعره وعلوم لسانه ودينه ، بأرباب الفكر البشري ، بافلاطون الالهي ، بارسطو المعلم الاول ، بزينون ، وفورفيريوس ، بأساتذة المدرسة الاسكندرية وغيرهم من مفكري اليونان.

شعر العرب في الدولة العباسية ان ما عندهم من العلوم لا يكفي ، وان دولتهم العظيمة التي تمتد الى اطراف العالم لم تزل فقيرة محتاجة الى الرقي العلمي

وانها ، مهما تكن عليه من السطوة المادية والبأس ، لا تستطيع ان تنمو وتتقدم اذا كانت متأخرة في القوى العقلية . فقام خلفاؤهم يسدّون هذا العجز الروحي ، باحثين عن علوم يقتبسون منها ، ومعارف يقطفون من اثمارها . فمدوا يدهم اولاً الى جيرانهم من فرس وهنود ، واخذوا عنهم ما عندهم من موائق . لكن ذلك لم يملأ الفراغ ، الى ان ادارو لحاظهم الى بحر زاخر اغناهم عن مؤونة البحث والتفتيش ، فبادروا يستنجدون باعوانهم السوريين ليكشفوا لهم النقاب عن هذه الكنوز الثمينة . ومن كان كالسوريين يحسن نقل هذه العلوم ؟.. مَن غيرهم يعرف اليونانية والسريانية والعربية ليكون وسيطاً بين العقل اليوناني والعربي ؟

كانت في اول القرن الثامن جماهير النقلة تشتغل بالترجمة الى العربية تحت كنف الامراء ، فيجزلون لهم العطايا ويصلونهم بالكثير ، حتى انه يروى ان المأمون امر لابن حنين ثقل ما يكتبه ذهباً . فكان عصر المأمون ، ذاك الامير الذي يصوره لنا التاريخ محاطاً بالشعراء والكتاب جامعاً حواليه الفلاسفة والعلماء مشتغلاً نفسه بالفلسفة ، عصر الترجمة الذهبي . نقلت فيه معظم العلوم الدخيلة عن اليونان وتأصلت الفلسفة في الاسلام .

اما النقلة فلم يكونوا فلاسفة ولا مفكرين ولم يؤلفوا ولم ينشئوا . بل كان السواد الاعظم منهم يتعاطون مهنة الطب التي درسوها على الاغريق . ولما تعمقوا فيها اوصلتهم شهرتهم الى البلاط العباسي ، فقربهم الخلفاء وصاروا اطباءهم الاخصاء . ثم كُلفوا نقل الفلسفة اليونانية الى العربية . قلنا « كُلفوا » ، لانهم لم يكونوا مدفوعين من تلقاء انفسهم الى تعاطي الفلسفة ، بل قاموا في عملهم ، لا حبًّا بالعلم والاستطلاع على اسرار الفلسفة كما فعل السوريون في القرون السالفة ، بل رغبة في الصلات التي لم يكن يبخل بها عليهم الخلفاء .

واول التآليف التي ترجمها هؤلاء الاطباء الى العربية ، بعد كتب بطليموس واقليدوس ، كانت آثار ابوقراط وجالينوس . لانه من الطبيعي ان يبدأوا بتعريف من تساعدهم على فهم صناعتهم .

هذا ، واذا بحثنا عن حياة هؤلاء المترجمين الاطباء ، وعن اسلوبهم في

الترجمة ، فلا نجد في التاريخ سوى معلومات قليلة لا تكفي لسدّ عوزنا الى الاطلاع . فاننا لا نعلم سوى اسماء وحياة بعض مشاهيرهم ، وبعض الكتب التي وضعوها . فيوحنا ابن البطريق قد ترجم عن افلاطون في اوائل القرن التاسع مؤلفه « Timaios » وعن ارسطو كتاب الحيوانات ، ومختصراً لكتابه في علم النفس ، واحد كتبه في العالم . ونقل عبد المسيح الحمصي عن ارسطو كتاب المقالات والالهيات .

اما قسطا بن لوقا البعلبكي الذي عاش في القرن التاسع فقد اخذ عن الاسكندر الافروديسي شروحه لكتب ارسطو ، وتعليقه على مؤلف ارسطو في « الفساد » .

والذي لا شك فيه ان اشهر النقلة كان آل حنين : ابو زيد حنين بن اسحق (٧٧٣–٨٥٣) ؟ رئيس المترجمين ، وابنه اسحق المتوفى سنة ٩١٠ او ٩١١ ، وابن اخته حبيش بن الأعلم . فقد كان لهذه العائلة شهرة واسعة وسمعة بعيدة حتى انه نسب لافرادها شيء كثير ربما لم يكن لهم به يد . وشاع ذكر حنين في ذلك العهد حتى انه لا يكاد يوجد منقول الا ولحنين فيه عمل ما بالتصحيح او بالتهذيب او بالتفسير . وقد رفعه المأمون الى رتبة رئيس المترجمين ، وكان يجزل له الصلات والعطايا ويعهد اليه بمهمات عظيمة . فارسله على ما يزعمون الى بلاد الروم ليأتيه بالكتب الفلسفية . وقد اقر له معاونوه المترجمون بالتفوق وسعة الادراك . وكان جبريل بن بختيشوع يدعوه بلقب « ربن حنين » اي : يا معلمنا حنين .

اما ما نقله آل حنين الى العربية فكثير ، تجاوزوا فيه كل العلوم اذ ذاك . وقد يصعب علينا تمييز التآليف التي وضعها حنين ، والتي الفها ابنه او ابن اخته ، اذ نعلم ان الاب نقل خاصة ما يتعلق بالطب والرياضيات ، والابن ترجم ما يتعلق بالفلسفة . وكان آل حنين يترجمون رأساً عن اليونانية او يصححون التراجم الموجودة ، او يعلقون عليها . وظلّ المترجمون يشتغلون في النقل حتى القرن العاشر . وبين الذين اشتهروا اذ ذاك نذكر ابا بشر متى بن يونس الذي توفي سنة ٩٧٤ ، وابا زكريا يحيى بن علي المنطيقي المتوفى سنة ٩٤٠ ، وابا علي

عيسى بن اسحق بن الحمار الذي تعرف سنة ولادته وهي ٩٤٢.

اما المورد الذي استقى منه هؤلاء المترجمون فانه صار معلوماً انهم لم ينقلوا رأساً عن فلاسفة اليونان المشهورين كافلاطون وارسطو ، بل عن تابعيهم وشارحيهم ومقلديهم ، مثل تعاليم المدرسة الاسكندرية والارسطوطلية المستحدثة ، وعن فرفوريوس وبلوتارخوس . وهم لم يكونوا يميزون بين المعلم الاول نفسه وبين شارحيه ، او يفرقون افلاطون الالهي عن الافلاطونية المستحدثة المصبوغة بشيء من المسيحية . ولا ننفي ان بعضهم قد يكونون تناولوا تراجمهم عن النص اليوناني الاصلي كآل حنين مثلاً ، فاتساع معارفهم وتبحرهم في اليونانية يمكنهم بسهولة ان ينقلوا نقلاً عن الاصل الحقيقي . وجل ما نؤكد ان الفريق الاكبر من النقلة ترجموا الفلسفة الى العربية عن النصوص السريانية التي كان وضعها اسلافهم في العصور الماضية ، وهذا اقرب للتصديق ، لان هذه النصوص كانت مع وفرتها سهلة المنال.

يدلّ على هذا انه عندما نقابل مثلاً بين ما ينسبه الاسلام الى افلاطون او ارسطو وبين تآليف هؤلاء في اليونانية نجد ، مع المطابقة الكثيرة ، بعض المناقضة التي تبدو لنا بعينها في الافلاطونية والارسطاطالية المستحدثة او شروح ارسطو وافلاطون بقلم من اتى بعدهم من الفلاسفة . مما يؤكد لنا ان التراجم لم تؤخذ عن مصدر يوناني.

قبل ان نحكم على هذه التراجم ونفهم قيمتها متسائلين هل اجاد اصحابها النقل واحسنوا في تعريب الفلسفة ، قبل ان نطنب في الكلام على علو كعبهم واجادتهم او نذهب في مغالاة ممكوسة ونحط من قيمة عملهم ، لنتنبه الى امور خطيرة ، الى نقط هامة لا بد للناقد ان يفطن اليها قبل اعطائه الحكم النهائي :

اولاً : ان النقلة لم يكونوا فلاسفة ، كما سبق القول ، ولم يشتغلوا بها رغبة في الشهرة والاطلاع ، بل حباً او بالكسب وارضاء لخاطر الامراء.

ثانياً : ان الاصول السريانية التي اخذوا عنها لم تكن تخلو من اغلاط الفهم ، والنقلة اخذوها كما هي دون تنقيح او تصليح.

ثم ان هؤلاء الاطباء المترجمين لم توقفهم صعوبة الترجمة ، ولم يطلوا ما تعذر عليهم فهمه ، بل اكتفوا بما ظهر لهم من المعنى لاول وهلة ، فعبروا عنه باللغة العربية غير عابئين احياناً بالمطابقة الدقيقة . وقد اشرنا الى مهمة اسحق بن حنين في تنقيح وتصحيح مثل هذه التراجم .

ورب من يسأل هل بقي شيء من تلك التراجم ؟ فنجيب ان يد الضياع قد اخذت باكثرها . ولا شك ان العرب انفسهم لم يحافظوا عليها ، بعد استخدامها واستغنائهم عنها بشروحهم وتآليفهم .

فالكثرة المطلقة من تلك الآثار قد بادت ، ولم يبق الّا القليل . من ذلك مقالة لقسطا بن لوقا في الفرق بين الروح والنفس يقول فيها ان الروح مادة مفارقة ، مركزها في البطن الشمالي من القلب ، وهي التي تحيي الجسم البشري وتجعله يتحرك ويشعر ، وهذه الروح تتلاشى مع فناء الانسان . اما النفس فبسيطة وغير معرضة للتغير ولا تفنى عند فنائه ، ومن مزاياها ان تكون بوقت واحد افعالاً متناقضة تمام التناقض ، وان الروح هو الوسيط بين النفس والجسم وسبب تحرك وشعور هذا .

ومن العجب في تاريخ النقلة الاطباء انه رغم الحياة التي عاشوها في بلاط الخلفاء ، ورغم الاكرام الذي حفوا به والعطايا التي اجزلت لهم ، ظلوا على عوائدهم وتقاليدهم محافظين ، ومكثوا في ايمانهم وديانتهم ثابتين . ولا شك ان الخلفاء قبل المأمون وبعده اجتهدوا ان يحملوهم على اعتناق الاسلام . ولكنهم لم يتزحزحوا عن عقيدتهم ولم يشركوا قط بمسيحيتهم ومن طريف ما يروى من هذا القبيل ان المنصور الحّ يوماً على ابن جبريل كي يدين بدين الرسول ، فاجابه معتذراً : « افضل ان اموت على دين آبائي واجدادي . وحيث هم يطيب لي ان اكون ان في الجنة وان في النار » . فضحك الامير وسكت .

هكذا عاش بسذاجة كلية وايمان راسخ متين ، في بلاط خلفاء الاسلام ، هؤلاء الوسطاء بين عقول الغرب والشرق ، واولئك النقلة الاطباء الذين حملوا الى العالم الاسلامي قبساً غدا نوراً بهيّاً ، ونفخوا في مدنيته روحاً انعشتها واسرت في عروقها الحياة .

الرُّتَب الكَهْنوتيّة

في

الطائفتين المارونيّة والسريانيّة

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني

٢

١ طقس رسامة[1] المرتّل

اوّل الرتب البيعيّة الصغيرة عند الطائفتين كلتيهما رتبة المرتل ، ويقال له ܩܵܪܵܝܳܐ او ܡܰܙܡܪܳܢܳܐ بلفظ يونانيّ ، لانه يتولّى الترمير في الكنيسة حين القدّاس والصلاة. ويجب على المتأهّب لقبول هذه الرتبة ان يكون متجاوزًا السنّ السابعة وقد تعلّم القراءة السريانيّة رشيئاً من الالحان. وان يكون بيده صكّ موقّع بامضاء قنّيسه يشهد بولاده من زواج شرعي مسيحي ، يثبت فيه تاريخ عماده وتثبيته ، ويذكر آدابه ودرسه وتعلّمه مبادئ الديانة وتناوله التناول الاوّل. كذا قرّر المجمع اللبناني (٢٥٤) ، ومجمع الشرفة(١٥٤و١٦١).

واذا حان وقت الرسامة لزمه ان يكشف رأسه ، ويقف متكئاً في باب الخورس . واذا كان راهباً وجب عليه ان يتّشح بثوبه ، ويلقي الاسكيم عن رأسه الى منكبيه[2].

اما الجبر فانه يمنح هذه الرتبة من على المذبح كسائر الرتب ، لا خارجاً عن باب الخورس[3]. ذلك انه بعد رفعة ܩܘܪܒܢܐ ܩܕܝܫܐ يغطّي الاسرار بالنافور الكبير ، ويقبّل انامله وينشّفها ، ويلبس التاج ، ويمسك المكاز والصليب ، ويستوي على الكرسي في باب المذبح . وبعد هذا يسأل رئيس

---

١) الرسامة ܣܝܡܬܐ لفظ سرياني يراد به رسم الاسقف جبهة المنتخَب بالصليب ، وقد انتحله العرب واطلقوه على جميع الرتب الكهنوتية ، فقالوا: رسمه الاسقف اي منحه درجة كنسية. ونحن نرى ان لا يُطلق هذا اللفظ الا على الرسامات الصغيرة والثانوية كرسامة المرتل، والقارئ ، والرسالي ، ورسامة رئيس الشمامسة ، والخوري ، والمقريان ، والبطريرك ، لانها لا تشتمل على وضع اليد.

٢و٣) دريان: ٦١ و٦٢

الشمامسة عن عرابه ثم يقول له بالسريانية: «هل تؤدي عنه الحساب وتكفله.» فيقول: «نعم.» فيأمره الحبر ان يجثو[1]. فيقبل يمين الحبر قائلاً: «ﭐﭐﭐﭐﭐ بارخمور.» فيسمه في جبهته ثلاثاً بشكل صليب قائلاً بالسريانية: «ليباركك الرب الاله» الخ. وعند ذكره اسم كلّ من الاقانيم الثلاثة يقول الشمب: آمين[2].

ثم يبدأ الحبر الماروني والسرياني صلاة الابتداء: «اهّلنا ايها المسيح الاله ان نكمّل هذه الخدمة السريّة» الخ. ويكون المتنحّب خارج الدرابزين جاثياً على الركبة اليسرى[3]. وبعد صلاة الابتداء تقال تسبيحة. ويصلي الحبر الماروني والسرياني: «وطّد يا رب بيعتك المقدسة على الصخرة» الخ. ويتلوها في كلا الطقسين مزمور «ارحمني يا الله» مع عشرة ابيات سريانية اولها ﭐﭐﭐﭐﭐ ، وتعرف عند الموازنة بوزن ﭐﭐﭐﭐﭐ ، يليها ابيات افرامية مسبّقة بآيات المزمور ١٥٠ ، بدؤها ﭐﭐﭐﭐﭐ وهي من تصانيف مار افرام كما ذكرنا.

ثم يقدّم رئيس الشمامسة المبخرة للحبر قائلاً في الطقس الماروني: «لنقف بالصلاة والطلبة امام الاه الالهة» الخ. فيضع الحبر بخوراً، ويتلو احد الكهنة في الطقسين الختامي: «لذلك الرحيم والقزير النعمة». الخ ثم: «تسبّحك يا ربّي السماء.» الخ وينشد الاكليرس الماروني والسرياني اربعة ابيات بالسريانية بوزن ﭐﭐﭐﭐﭐ ، ثم يتلو صلاة المطر: «نسألك ايها الربّ القزير الرحمة» الخ. ويضيف الشماس الماروني فقط مناداة افرامية: «لنقف كلنا بالصلاة» الخ. يردفها الحبر بصلاة: «ايها الرب الاله القدير» الخ.

ونتنبّه ان هذه المقدّمة عوميـة لجميع الرتب الصغيرة. فاذا رام الحبر في كلا الطقسين ان يرسم مرتّلاً وقارئاً في وقتٍ واحدٍ او قارئاً وساليًّا معـاً

---

١) اضرب المجمع اللبناني عن هذين السؤالين، وعن الجثوّ. ونستنتج من اضرابه هذا ان ذلك حديث في الطقس الماروني، اذ لا اثر له في الطقس السرياني.

٢) اثبت ذلك المجمع اللبناني: ٢٦٢ و٢٦٣، ولا اثر له عند السريان.

٣) لا يجثو المرتل قطعاً في الرسامة عند السريان.

٤) لا يستعمل السريان هذه الابيات، الّا في الرتب الكبيرة المقدّسة فقط.

يُستغنى عن تكرارها . . ويُقرأ على اثرها حالًا الفصل من الكتاب الكريم . ويكتمل الحبر الرتبة الاولى الى آخرها . ثم يستأنف الرتبة الثانية او الثالثة ، بدأً من قراءة الفصل من الكتاب المقدّس .

وبعد هذا يتلو احد المنتخبين للدرتلية المزمورين ١٣٢ و ١٣٣ . اما المنتخب السرياني فيقرأ ايضاً من المزامير ٣١ و ٢٦ و ٨٤ .

ثم يضع الحبر الماروني يديه على صدغي المنتخَب ، ويقول : « نسألك ايها الرب الاله ان تصنع نعمتك ورحمتك مع عبدك هذا فلان » الخ . ويقصّ ، كالحبر السرياني ، من شعر المنتخَب اولًا مما يلي الرقبة ، ثم مما يلي الجبهة ، ثم مما يلي الصدغين ، ذاكرًا كل مرّة اسم احد الاقانيم الثلاثة ، ويجاوب الشعب : آمين .

وهذا تعريب صورة الرسامة في كلا الطقسين : « نرسم[1] عبدك هذا فلاناً على المذبح المقدّس مذبح القديس فلان ، من قرية او من مدينة كذا المباركة بسم الآب ✠ : الشعب : آمين . والابن ✠ : آمين . والروح ✠ القدس : آمين . »

وينادي الشمّاس الماروني : « لنقف كلنا للصلاة » الخ . ثم يمسك الحبر يمين المرسوم قائلاً : « اللهمّ الذي بنعمته التي لا تقاس » الخ[2] . ثم يدخل به الحبر الماروني والسرياني الى المذبح ويعلن : « فليمنحك الربّ طهارة الخطوات » الخ . وكانوا في القديم يغطون قدمي المرسوم بحذاء خاصّ قبل إدخاله باب الدرابزين[3] . ثم يدفع الحبران الماروني والسرياني كتاب المزامير الى المرسوم فيحمله على ذراعيه وصدره . ويطوف الموارنة وحدهم بالمرسوم ثلاث مرات في الكنيسة منشدين بنغمة ܩܕܡܝܐ : على راحة يدي الابن الخ . وهذه الجولات الثلاث لا اثر لها في الطقس السريانيّ . وهي فيما يظهر حديثة في الطقس الماروني عينه ، بدليل انّ المجمع اللبناني (ص ٢٦٣) لم يذكر الطواف الّا مرّة واحدة . واذا انتهى المرسوم الى المذبح قبّله وقبّل يمين الحبر ، فيصلّي عليه الحبر : « اقبل اللهمّ بحنوّك هذا » الخ . ثم يتناول الحبر في كلا

١) ܢܩܕܡ ܗܕܐ ܥܒܕܟ الخ . لكن الحبر السرياني يقول ܢܩܕܫ ܗܕܐ ܥܒܕܟ فعل ܩܕܫ بضمير الغائب كسائر صُوَر الاسرار نحو ܡܥܡܕ يعتمد و ܡܫܚ اوتفى .

٢) هذه الصلاة يتلوها الحبر السرياني ، قبلما يقصّ شعر المنتخَب ٣) درباز ٧٢ .

الطقسين القربان المقدّس ، ويناول المرسوم ، ويختم القدّاس .

واعلم ان الخبز في رسامة المرتل لا يسلّمه الدبرع ، ولا يلقي البطرشيل على كتفه ، كما نصّ المجمع اللبناني (٣٠٨) . ولذا وجب ان يُنهى عن استعمالها من قبلوا درجة المرتليّة . غير انه يحقّ للمرتل ان يقرأ القراءات من العهد العتيق ما عدا النبوّات ، وان يتلو المزامير وينشد الترانيم في الكنيسة جهرةً حين القدّاس والصلاة . وان يتوشّح بقميص من كتّان او من قماش احمر او ابيض مطرّز بصلبان (المجمع اللبناني : ٣٠٩ ، ومجمع الشرفة : ١٦١)

٢ طقس رسامة القارئ

الرتبة الثانية من الرتب الصغيرة رتبة القارئ ܩܪܝܢܐ ، ويقال له ايضاً ܐܝܢܓܢܘܣܛܘܣ اناغنسطس بلفظ يوناني . ولا يرقى اليها الّا من بلغ السابعة عند الموارنة ، كما حدّد المجمع اللبناني (٢٥٤) ، والرابعة عشرة عند السريان (مجمع الشرفة ١٦١) . ويلزمه في كلا الطقسين ان يبرز صكّ رسامته قارئاً مع شهادة بميلاده وعماده وتثبيته الخ كما ذكرنا في رتبة المرتل . وبمواظبته على الخدمة حسب درجته في البيعة التي رُسم عليها . وله المقام الثاني في مراتب الدرجات الصغار عند السريان والموارنة معاً . وله ان يقرأ في الكنيسة جميع القراءات من العهد القديم والنبوّات في القدّاس والصلوات والطقوس . قال المجمع اللبناني (ص٣٠٩ و ٣١٠) ما نصّه : «ان قراءة الاسفار المقدسة انقسمت مع كرور الاحقاب الى خمسة اقسام خصّص كلٌّ منها بدرجة . فالقسم الاول يتقوّم من العهد القديم ما عدا النبوّات . والثاني من النبوّات . والثالث من الرسائل القانونية (القاتوليقيّة ؟) السبع واعمال الرسل . والرابع من رسائل بولس . والخامس من الاناجيل . فللمرتلين القسم الاول . وللقارئين الثاني . وللمرساليين الثالث . وللشمامسة الرابع . ولرؤساء الشمامسة الخامس .» وينبغي ان تتمّ رسامة القارئ كما قال اقليميس الروماني[1] وابن العبري[2] يوم الاحد دون وضع يد .

اما كيفية الرتبة فيدخل المنتخَب ، وينتصب امام المذبح متردّياً بثوب

١) كتاب عهد ربنا ، عدد ٤٥ .
٢) الهدى ، ص ١٠٠ .

المرتل ، مكشوف الرأس ومنحنياً ومتكئاً ، وبينما ينبهي الحبر القداس الى التناول ، فيسمه الحبر الماروني في جبهته ثلاثاً كما يرسم المرتل ويبدأ بالرتبة على ما وصفنا في رتبة المرتل وبينما ينتهي الحسّاي والابيات الاربعة والقطر الخ.

وبعد هذا يقرأ المنتخَب من سفر حزقيال (٤٣ : ١ــ٧ و٤٤ : ١٥ــ١٦)[1]. ويصلّي الحبر الماروني سرّاً ومنحنياً ومتّجهاً نحو الشرق : يا ربّ القوّات السماوية[2] الخ . فيهتف الشمامسة : قوريالیسون[3] . وينادي رئيس الشمامسة : « ايضاً وايضاً دائماً وفي كل حين » الخ. ويصلّي الحبر : « اهّلنا ايها الرب الاله ان نكون لك قارئين اطهاراً » الخ . ثم يمسك الشمّاس يمين المنتخَب ويأتي به الى الحبر قائلاً : « نقدّم لقداستك » الخ . وتُختم بثلاث مرّات قوريالیسون. وقد تفرّد الطقس الماروني ، دون الطقس السرياني ، بتلاوة هذه الصلوات وما يتبعها بعد قراءة الفصل من سفر حزقيال ص.

على ان الحبر في الطقس السرياني والماروني يأمر المنتخَب بعد هذا ان يجثو على الركبة الشمال فيضع يمينه على صدغيه قائلاً : « النعمة الالهية[4] » الخ . ثم يرفّ يديه على هامة المنتخَب ويتلو سرّاً : « نطلب منك ونتضرّع اليك ايها الرب الاله » الخ . ثم يلتفت نحو المذبح ويجهر قائلاً : « لاتك الاله الراغب في الرحمة والرأفة » الخ . ثم يقول : « السلام لجميعكم . » ويقول الشعب : « ولروحك » . ثم يتلو سرّاً : « ايها الاله العظيم الغنيّ بالمواهب » الخ. ويجهر قائلاً : « لنؤدِّ لك التسبيح ».

ثم يلتفت الحبر في كلا الطقسين الى المنتخَب ، ويمسك صدغيه بيديه كلتيهما ، ويتلو صورة الرسامة سرّاً : « ايها الاله العظيم الرؤوف يا ضابط جميع البرايا بيديك » الخ . ويجهر : « نعم يا الله نفّذه » الخ. ويهتف الشمامسة عند الصلاة السريّة متناوبين بنغم شجيّ قائلين معاً : « قوريالیسون » . اما السريان فيرتلها شماس او شمامسان فقط بالتناوب . وعند نهاية هاتين الصلاتين ،

---

١) دريان : ٥٠ن حزقيال ٢٥ و٢٦ ، ص ٧٤.

٢) يتلو الحبر السرياني هذه الصلاة في رسامة الرسالي بعد القراءة.

٣) دريان ٧٤. ٤) لا اثر لهذه الدعوة في رتبة القارئ عند السريان.

يمسك الحبر السرياني والماروني بيمين المرسوم وينهضه عن الارض قائلاً : « ايها الالـه العظيم »[1] الخ . ويلبسه قميصاً ثم حزاراً[2] . وينشد بالسريانيـة ويتبعه الاكليرس قائلاً : ܩܕܝܫ ܩܕܝܫ ܩܕܝܫ ܐܝܬ ܒܗ ܟܗܢܘܬܐ ܩܕܝܫܬܐ الخ . لمجد واكرام وتبجيل وتعظيم الثالوث الاقدس المساوي بالجوهر الخ. ثم يقول الحبر الماروني فقط : « وشّح اللهم »[3] الخ. ويدفع الى المرسوم كتاب النبوّات فيحمله على ذراعيه ويقبّل المذبح ويعين الحبر ويحييه المؤمنون. واذا تناول الحبر القربان المقدّس ناوله المرسوم»[4] ايضاً . وبعد هذا يكتمل القدّاس ويصرف المؤمنين.

وقد تفرّد الطقس الماروني بان يضيف الشمّاس انشودة يوزن ماو افرام : « الرب الذي منح الكهنوت للبشر الترابيين » الخ . ثم ينادي رئيس الشمامسة : « لنقف كلّنا للصلاة » الخ . ويصلّي الحبر الماروني : « اللهم يا من منحت يشوع بن نون » الخ . ثم يكون الطواف في الكنيسة ثلاثاً بترتيل ܩܕܝܫ ܐܠܗܐ ܩܕܝܫ الخ . واذا عاد المرسوم الى المذبح قبّله وقبّل يمين الحبر ، فيصلّي الحبر عليه : « نحمدك ايها المسيح » الخ . ثم يتناول القربان المقدّس ويناول المرسوم كما ذكرنا ، ويختم القدّاس.

وزاد الطقس الماروني ايضاً ان الحبر يتوجّه بعـد ذلك الى الشرق ويتلو صلاة الشكر : « نقبل نعمتك ونشكر رحمتك » الخ . وما يتبعها الى الخاتمة : « يا اله الالهة ورب الارباب » الخ . وصلاة الخاتمة هذه لا اثر لهـا في المجمع اللبناني ، ولا في الطقس السرياني. (لها بقية)

---

١) دريان ٧٥.

٢) المزار يلبّـه الحبر السرياني للمرسوم ملفوفاً على ظهره بشكل صليب (مجمع الشرفة ١٦٢) . اما السيّد السماني فاكتفى بقوله : ان الحبر يلبس المرسوم قميصاً ومزاراً ارجوانياً او ابيض. ويضاف في بعض النسخ المارونية ان القارىء بعد ما يتوشّح بالمزار يقرأ من اشيا (٢١ و٢٨) على ما ذكر المجمع اللبناني (٢٦٤) وبعـد هذا يقول الشماس : فلنقف كلنا بالصلاة الخ . وذهب العلّامة الدوحي (ص ١١١) الى ان القارىء لا يجوز له ان يتوشّح بالمزار الاّ في الاحتفالات . اما القارىء السرياني فيتوشّح به فوق القميص او فوق ثوبه الاعتيادي كلّما خدم القداس احتفالياً ام بسيطاً .

٣) لا اثر لهذه الصلاة في الطقس الماروني (دريان ٧٦ و٧٧) ولا في الطقس السرياني.

٤) المجمع اللبناني ٢٦٤.

مقدمات لدرس تاريخ الادب : ١

منشأ الآداب العربية

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كليّة القديس يوسف

١

توطئة

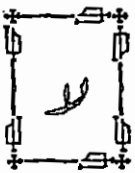

يسع المطّلع على التآليف العصريـة في تاريخ الادب ، الواقف على اتجاه هذه الدروس في ايامنا ، الّا ان يغتبط بتلك الحركة المباركة التي اخذت تصرف اكثر مؤلّفينا عن الاخـذ باقوال الرواة دون تمحيص ، وتلخيص ابحاث القدماء دون انتقاد . فهم ، اذا عرضوا اليوم للتراجم ، تـاءلوا عن مصادرها الصحيحة ، واهتموا بما يفيده العلم الحديث — او بمـا سمعوا عن العلم الحديث انه يفيده — من اساليب الشكّ ، والتوقّف ، والفرض ، والترجيح . . . فراحوا يعدّدون « الملاحظات التوقيتية » ، و« التحقيقات التاريخية » ، و « البحوث النقدية » لسبب ولغير سبب ؛ كأنهم ارادوا ، قبل كل شيء ، ان يظهروا للمطالع انهم باصول « التحقيق العلمي » آخذون ، وعلى اساليب « النقد الحديث » واقفون . . . وهو سعيٌ محمود في اصله ، وان لم تأتِ منه الغـاية المتوخاة حتى اليوم فلتـرَع في استنتاجات اولئك « المحقّقين » اذ يـتندون في التاريخ الى نصّ يمكـون معنـاه عن غير قصد ، او الى قصيدة يفهمونها على غير وجهها ، او الى حجة ادبيـة ضعيفة في موضوع يجب فيه الاستناد الى اثر

تاريخي ثابت ، او الى غير ذلك من الاساليب التصف علمية ، فيخالون المغالطة تحقيقاً تاريخياً والحلّ البسيط نقداً ادبياً . وما ذاك الّا عن نقص بالاستعداد ، وضيق في التهذيب العلمي ، يدفعهم من جهة الى طرح آراء من تقدّمهم دون استثناء فيقفون بعكس ما نعوه على القدماء المقلّدين ؛ ويحصرهم ، من جهة اخرى ، ضمن المصادر العربية وحدها ، وهي اقل من ان يكتفي بها المؤرخ العصري .

ولكن مهما بلغ من نقص هذه الاساليب او من ضررها ، فانها تبشر بنهضة تتململ في ادمغة مؤلفينا فتخطئ بالضعفاء منهم وجه الصواب اذ يموّهون بالعلم وهم لم يتعوّدوه ، وتسير بالمدقّقين الى المحجّة الصحيحة فتفيد التاريخ والآداب معاً ، وتستحق شكر الادباء والمؤرخين جميعاً .

واذاً فاننا نرى مؤرخي الادب في عصرنا على فئات ثلاث :

فئة تسير على الطريق السهلة التي اختطّها السلف الصالح وعبّدها الخلف المطيع . فلا توقف ، ولا تردُّد ، ولا حجر ، ولا عقبة ، حتى ليمكن السائر ان يغمض عينيه ويمشي . وهي كثيراً ما تفعل ذلك ، فتتابع سيرها مغمضة العينين ، خليّة الذهن ، مطمئنة . حتى اذا عثرت بعقبة لم تخطر على بالها ، او اصطدمت بصعوبة لم تستعدّ لها ، افاقت مستغربة ، وفزعت الى معدّاتها النقدية العلمية فلم تجد الّا « رُوي » و « يزعمون » . . .

وفئة سمت بالاساليب العلميّة ، فاستواها التحقيق والتمحيص ، واحبّت التنقّل بين العقبات ، ولم يكن لها من استعدادها ما يخرجها من تلك الطريق التقليدية ، طريق الفئة الاولى . فجعلت تأتي بالحجارة وتلقيها فيها عمداً وبغير ترتيب ، ثم تجتهد في زحزحتها وتقليبها ، مستعملةً المفردات الضخمة ، والتعابير النقدية ، موهمة انها تحلّ الصعوبات الادبية وتدرس المشكلات التاريخية . والحقيقة انها لم تحلّ شيئاً ولم تدرس شيئاً ، بل اخترعت صعوبات لم تكن ، وتوهّمت مشكلات لم توجد ؛ رغبةً منها في الاصطباغ بصبغة العلم والتمويه بطلاء التحقيق التاريخي ، والتظاهر بالحياة ، وان مدة قصيرة ، في جوّ من الانتقاد مصنوع . فكانت النتيجة انها انصرفت عن بساطة الاولين ، ولم

تلحق بتدقيق العلماء المحققين.

وفئة ثالثة ، وهي الاقليـة ، قرنت الاستعداد العلمي الطويل بدقة النظر وصواب الحكم ، فاتضحت لهـا مناهج البحث ، فتركت الطريق السهلة على سهولتها ، بل رفعت منها ما رماه فيها بعض اشباه العلماء ، واخذت في تسهيل ما صعب من الطرق حولهـا . فهي لا تشكّ بامر ثابت لمجرّد الشكّ ، ولا تخترع الصعوبة التاريخية لمجرّد اللذّة في حلها ، ولا تبني الخرافة الوهمية لمجرّد الفخر في هدمها. وايّة لذّة وايّ فخر في فتح باب مفتوح ! هذه هي الفئة العالمة التي يجب ان يقلّدها المدققون ، ويقتفي اثرها المحقّقون.

* * *

على ان جميع هؤلاء المشتغلين بالتاريخ الادبي ، من اي فئة كانوا ، والى اي مذهب انتموا ، قلّما تجاوزوا اليوم ، في مساعيهم المشكورة على كل حال ، موضوعَ التاريخ ، سواء كان ذلـك في اشخاص الادباء او في آثارهم او في الدول المختلفة . فهم يحصرون غالباً اساليبهم التحقيقية في عصر الاديب الفلاني او الدولة الفلانية او في تاريخية الاثر الفلاني . وقد يسهو بال اكثرهم عن تأثير عامل آخر قد لا يقلّ اهمّيّة عن العامل التاريخي في قدر قيمة الادب ، بل كثيرًا ما زاد عليه ولاسيما في العصور الاولى ، الا وهو العامل الجغرافي وما يجرّ اليه.

من الضروري ان نعرف في ايّ عصر عاش الشنفرى مثلًا ، ومن المفيـد ان نعرف هل مات النابغة قبل النعمان ام لا . ولكن من الضروري ايضاً ان نعرف اين عاش الشنفرى ، ومن المفيد كذلك ان نعرف الى اين رحل النابغة مجفوًّا . . . فليست بيئة الشنفرى اقلّ تأثيرًا في شعره من العصر الذي عاش فيه ، وليست البـلاد التي تنقّل فيها النابغـة اضعف مظهرًا في قصائده من سني حياته.

هذان مثلان بسيطان للدلالة على اثر العوامل الجغرافية في الادب عامّة وفي الادب العربي خاصّة . ويمكن المطالع ان يمدّ الامثال على ذلك فيتحقق ما اصبح من الثابت المقرّر عند ذوي البحث من أن البيئة تكيّف الانسان بـل الشعوب ، وتسم بسمتها كل ما تولّده هذه الشعوب من آثار مختلفة في الادب

والفنّ وما اليها . حتى قيل بكل صواب « ان الانسان ابن بيئته »

ونحن اذا تصفحنا ادبنا المتمدّد المجالي على كرّ العصور ، حتى اقدم مظاهره بل حتى زمن نشأته ، نرى انه تأثّر فوق كل ادب بالبيئة التي نشأ فيها . ثم اننا نرى ذاك الاثر الواضح يتجاوز الادب الى اللغة نفسها فيبدو في تعابيرنا حقيقية كانت ام مجازية ، بسيطة ساذجة ام شعرية فنية . فاننا لا نفهم حقّ الفهم قول العرب : « سقاك الله ! » « رعاك الله ! » ، ولا ندرك كل الادراك دعاءهم بالخير : « اقرّ الله عينك ! » وبالشرّ : « اسخن الله عينك ! » ولا نشعر بالقرابة بين « الندى والكرَم والغيث والجود » ولا بالمعنى الدقيق في « رطّب الله ثراه ! وسقى الغيث قبره ، وبكت عليه الغوادي والرائحات ! » الّا اذا انتبهنا لحياة العرب في تلك الصحراء القاحلة الحارّة ، القليلة المطر والرطوبة ... هذا ولو عاش العرب في بلاد غزيرة المياه ، شديدة البرد ، لعكسوا تعابيرهم دون شكّ وتمنّوا الجفاف لقبور موتاهم والدفء والحرارة لاحيائهم ...

هذا قليل من كثير من اثر البيئة الجغرافية في آدابنا وتعابيرنا . وهو ما سنتوسّع في درسه في هذه المقدّمات التي نراها ضرورية لفهم الادب العربي . فنمهّد ثلمة صغيرة في تاريخ الادب ، ونقوم بخدمة ضئيلة في جنب ما قام به مؤرّخو الادب . والله الموفّق للصواب !

(للبحث صلة)

الكشافة والاسلام - بولونية والحجاز

الكشافة في الاسلام

كل يعلم ان الكشافة مؤسسة حديثة وضعها الافرنج ، واخصهم الانكليز ، لتدريب الاحداث على الإقدام والجرأة والشجاعة ، بترويضهم على التمارين البدنية ، وعلى المشي في البراح والخلاء ، والانتفاع بهم في خدمة البلاد الخ . ولم يخب ارهما على السيد مصطفى جواد ، فقد سطّر خلاصة تاريخ نشأتها في مجلة العرفان ، وجعل خلاصته فاتحة لدرس آخر وهو «الفتوة في الاسلام» . وابى الا ان يرى تشابهاً بين المؤسستين ؛ والكشافة لا تشبه الفتوة اكثر مما تشبه النفاحة النخلة ، وشتان بين شجر بلاد الشمال وشجر بلاد الجنوب . ولعل الرغبة في ربط المخترعات الحديثة بملائق موشجة اصولها في عصور التاريخ الاسلامي الماضي ، شأنٌ من يرون في اخبار تلك العصور بذرة الاختراعات الحديثة ، لعل تلك الرغبة حدت بصاحب المقال الى المقابلة بين الكشافة والفتوة ؛ والملاقة بين المؤسستين واهنة ، سطحية . على اننا نأخذ من كلامه عن فتيان الاسلام ما يفيدنا في معرفة اخبار الشيعة ، والعرفان ترجمانهم . تكلم السيد مصطفى جواد على الكشافة ثم قال :

هذا المذهب الحيوي نشأ مثله بعد ظهور الاسلام لتهذيب الاخلاق وتعش النفوس والاغراء بالشجاعة وبث الاخاء بين الناس والدعوة الى الفضائل والتجافي عن الرذائل ، ويعرف عند المسلمين بـ (الفتوة) واصحابها يسمون (الفتيان) جمع فتى . فالفتوة هي استجماع النعوت الكريمة والاخلاق القويمة والطباع السليمة والجرأة والسخاء والكرم في صاحبها (الفتى) .

قال الشريف الجرجاني في التعريفات : الفتوة في اللغة : السخاء والكرم ، وفي اصطلاح اهل الحقيقة : هي ان تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة .

وقال ابن عربي : « الفتوة » الصفح عن عثرات الاخوان[1] وقال عبدالحميد بن ابي الحديد في (٣ : ٧١) من الشرح في احوال العارفين بالله تعالى « ومنها الفتوة ، قال سبحانه مخبراً عن اصحاب الاصنام : قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ؛ وقال تعالى في اصحاب الكهف انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، وقد اختلفوا في التعبير عن الفتوة ما هي ؟ قال بعضهم : الفتوة ان لا ترى لنفسك فضلاً على غيرك ، وقال بعضهم : الفتوة الصفح عن عثرات الاخوان ... وقال الحارث المحاسبي : الفتوة ان تنصف ولا تُنصَف. وقال عبد الله بن احمد بن حنبل : سئل ابي عن الفتوة فقال : ترك ما تهوى لما تخشى. وقيل : الفتوة الا تدخر ولا تعتذر. سأل شقيق البلخي جعفر بن محمد الصادق السلام ، عن الفتوة فقال : ما تقول انت ؟ قال : ان اعطينا شكرنا وان منعنا صبرنا ، فقال : ان الكلاب بالمدينة عندنا هذا شأنها ولكن قل : ان اعطينا آثرنا وان منعنا شكرنا » اه كلام ابن ابي الحديد.

الفتيان ينسبون فتوتهم الى الامام علي بن ابي طالب ابي الحسن وكذلك الصوفية فامير المؤمنين قدوتهم وفيه اسوتهم ويؤمنون بانه عليه السلام اب الفتيان وسيدهم واقدمهم . قال ابن ابي الحديد[2] « وما أقول في رجل احب كل احد ان يتكثر به وود كل احد ان يتجمل ويتحسن بالانتساب اليه حتى « الفتوة » التي احسن ما قيل في حدها ان لا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك . فان اربابها نسبوا انفسهم اليه وصنفوا في ذلك كتباً[3] وجعلوا لذلك اسناداً انتهوه اليه وقصروه عليه وسموه سيد الفتيان وعضدوا مذهبهم بالبيت المشهور المروي انه سمع من السماء يوم احد

« لا سيف الّا ذو الفقا ر ولا فتى الّا علي » ...

ولا ادري هل يتفق المحدثون كلهم على صحة تلك الرواية ، وليس من شأننا مناقشة الموضوع فيها ، بل حسبنا الاطلاع على ما قاله المؤلف في الامر وقد يرادف ما جاء على مادة « فتوة » في الموسوعة الاسلامية الاوربية. قال ما خلاصته :

---

١) نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار. ص ٢٤١

٢) مج ١ ص ٩

٣) ذكر لي الاب انستاس انه كان عنده كتاب في الفتوة

تحولت الفتوة الى اطوار شتى ، ودخل فيها الفناء ، ورمي البندق ، وتطيير الحمام للسابقة واللهو ، وتأليف كتب في انساب الحمام ، كما ألفوا قبلاً كتباً في انساب الخيل ... فالفتوة كانت تتقلب بين الدين والتعصب والنفع والضرر والاصلاح والفساد . فبعد ما كانت للاصلاح والمؤاخاة والتشجيع اصبحت في زمن الامويين من اللهو والترف والاسراف ، وفي القرن السادس الهجري من التعصب وافساد النظام .

وتمنطقت الفتوة ، خاصةً ، على ايام الناصر بدين الله العباسي (١١٨٨ — ١٢٢٥م ٥٧٥ — ٦٢٢ه) بنطاق النظام المهول امره بصاحب الحكم فذكرتنا بفروسية القرون الوسطى ، عند الافرنج ، لما كان صاحب السيادة يخول مواليه بعض الحقوق والامتيازات ويلبسهم الاسلحة ، ويسلمهم السيف الخ . فيؤهلهم للقيام في خدمة الدولة .

وغلبت على الفتوة ، في بعض الاحياء ، نزعة اللهو ، وجردتها من صفاتها الحربية والبستها حلة التصوف المشتبه امره بين الزهد والملاعبة ، وجعلتها مؤثلاً لشتى الاغراض السياسية المذهبية ، ومندفعاً لاثارة الفتن ولم تكن اذ ذاك قط امثال الفروسية او الكشافة !

بولونية والحجاز

مليحة هي الاخبار التي رواها صاحب المنار (السنة ٣١ ، ص ١٤١ ...) على حسن معاملة دولة بولونية الكاثوليكية لرعاياها المسلمين . واملحها وقوعها في بلدة خص قسم كبير منها ، في عامها الماضي ، بالطعن في المسيحيين وتجريحهم في كثير من الآفات المدنية الاجتماعية الفاتكة في المسلمين . ولو انصف صاحب المنار ، لأقرّ بان حال المسلمين في البلاد الخاضعة لحكم الافرنج ليست دون ما وصفها في بولونية عن لسان المفتي في تلك البلاد . قال :

زار مصر صاحب الفضيلة مفتي المسلمين في بولونية وزعيمهم الديني (الشيخ يعقوب شنكفتش) في طريقه الى الحجاز فلقي من تكريم فضلاء المسلمين وجمعية شبانهم ومن جمعية الرابطة الشرقية ما يليق بزعامته وشخصه الكريم ، وقد ألقى في نادي الخطابة من دار جمعية الشبان المسلمين محاضرة في بيان حال المسلمين في بولونية وما لهم فيها من حرية الدين المطلقة ومن مساعدة الحكومة البولونية الكاثوليكية لهم ما كان موضع الاعجاب والعجب من كل من سمعه .

وذهب السيد محمد رضا الى تعليل هذه المفارقة التي لم تكن لتخطر له ببال قطّ ، ولم يكن ليحلم بامكان وقوعها ، فنسبها الى صدق تديّن البرلونيين المسيحيين فقال :

ان ذلك فوق المعهود من الدول الاوربية وسببه الحقيقي عندنا ان تدين برلونية امتها وحكومتها بالنصرانية تدين عقيدة واخلاص فهو لا ينافي الاتفاق مع المسلمين.

فحسبنا ذلك ردّاً على تعامل المنار واقترانه على النصرانية واحبارها وكهنتها وتباعها . وليعلم ان النصرانية هي التي هذبت العالم ، ونشرت اجنحتها البيضاء على كل قطر ازدهرت فيه المدنية والعمران ، فسطع نور الرقي والعدل حيث سطع نورها ، وتضاءل ضياؤه حيث تضاءل ضياؤها.

هذا وقد يروق صاحب المنار ان يكرر ذكر الرومان ، واليونان ، والعلوم المستحدثة ، والاختراعات ، والطيارات ، والغواصات ، واللاسلكي ، والاوكسجين والهيدروجين الى غير ذلك من مفردات علمية التي يركبها جزافاً فتبدو ضخمة عجيبة لجهّال العامّة وسواد السوقة . . .

ولكن حاشى قراء المنار ان يكونوا منهم ! فلمن يشحن اذاً صاحب المنار مجلّد العام الماضي والمجلّدات التي سبقته بمثل هذه الالفاظ المتكاثرة الضخمة الثقيلة الوطأة في عملة دينية محضة ؟ وما غايته من ذلك الّا ان ينال فرصة من المسيحية فيغمز قناتها وينسب اليها زوراً اغلاط المدنية !

تعال ، يا شيخنا ! واكشف على خارطة الاديان في العالم ، واحكم عنها ، في اي دين من الاديان ازدهر النور والعمران والاخلاق . انظر اقاليم افريقية الزنجية وسوادها القدم ، وبلاد الصحراء القاحلة وسكانها البدو واسألهم باي نور يهتدون ؟ وانظر الى بلاد اوربة واميركة ، والى الاقطار الفابضة سكانها على ناصية العلوم وعلى زمام الحركة الفكرية في الكون ، واسألهم الى اي لواء ينضمون ؟ ان اللواء الخافق على رؤوسهم انما هو لواء الصليب الذي بعد ان كان آية الذل والعذاب اصبح شارة للمجد والفخر رمزاً لانتصار الروح على المادة ، والنور على الظلام.

ف . ت .

شذرات

جريدة عربية في روميه

كثرت حملات الجرائد العربيـة على الحكومة الايطالية منـذ حوادث طرابلس الغرب. فرأت ايطالية ان تدافع عن نفسها بالطريقة ذاتها التي يستعملها اعداؤهـا اي بواسطة الصحافة العربية . فقرّرت انشاء جريدة مزدوجة اللغـة (بالعربية والايطالية) تصدر في رومية بعنوان « المستقبل العربي» . وستباشر الصدور نصف شهرية ، في ثماني صفحات مصوّرة . ويكون الفرع العربي فيها مستقلًا عن الفرع الايطالي بمعنى ان القسم الواحد لا يكون ترجمة الثاني . اما مدير الجريدة فنائب ايطالي ، واما صاحبها ورئيس تحريرها فمنير اللبابيدي ، وهو من اسرة دمشقية معروفة ، كان يدير جريدة « الحضارة » سابقاً في سورية ، ثم انشأ في البرازيل جريدة عربية - برتغالية .

ومما يستحق الذكر ان « المستقبل العربي » ستكون ثاني جريدة عربية ظهرت في ايطاليـة . اما الاولى فكان اسمها « المستقلّ » وكانت تُنشر في جزيرة سردينية وغايتها تعزيز السياسة الايطالية في تونس . ولكنها لم تعش طويلًا ، فقضت سنة ١٨٨١ على اثر احتلال الفرنسويين بلاد تونس .

التذكار المئوي لاستشهاد الاب جبرائيل دنبو

مؤسس الرهبنة الانطونية الكلدانية

اتانا من الموصل الاذاعة التالية :

في اليوم الـ ١٥ من شهر آذار سنة ١٨٣٢ ، هوى الاب جبرائيـل دنبو ، مؤسس رهبتنا ، صريعاً تحت سيف الظلم ، شهيداً لاسم المسيح . وكان هذا الرجل البارّ في حياته المملوءة من جلائل الاعمال قد سعى سعياً حثيثاً ، في جملة الرجال الصلحاء الذين بنوا في الشرق صرح الكثلكة المنيف ، حتى رأى الايمان

الكاثوليكي متلألئاً فيما بين النهرين ، وعلى جبال كردستان العالية.

وقد لبث ذكر اعمال مجدد حياتنا الرهبانية محفوظاً بكل احترام ووقار ، ليس فقط في قلوب ابنائه الروحيين ، رهبان القديس هرمزد ، بل في قلوب عامة ابناء الطائفة الكلدانية . وغنية عن البيان الطاف الكرسي الرسولي المقدس التي شملت هذا الراهب القديس ، نموذج الفضيلة والرسول المتوقد غيرة على خلاص النفوس. وبهذا العون والتشجيع الابويين سار هذا الرسول الغيور ، بتدبر وبذل ذات كاملين ، في مسعاه الخلاصي . ولم تمض السنون القلائل حتى شاهد مساعيه تثمر ثمراً جنياً ورهبانيته تزدهر بحياة نسكية خصبة وتضم تحت قانون مار انطونيوس كوكب البرية رجالاً فضلاء ، بلغ عددهم وهو في قيد الحياة مئة : منهم خمسة مطارنة ، واربعة وخمسون كاهناً ، انتشروا في السهول وعلى قمم الجبال للتبشير والتعليم في تلك الآونة الحصية.

ولما كانت رهبنتنا الانطونية مدينة للاب جبرائيل دنبو بحياتها فقد قررت ، اعترافاً بفضله ، ان تحتفل بكل مظاهر الاجلال والاهبة بالذكر المئوي لمقتل هذا الرجل البار . فرصدت لهذا الاحتفال التذكاري ثلاثة ايام الـ ١٦ والـ ١٧ والـ ١٨ من شهر نيسان ١٩٣٢ لتصادف وقوع ١٥ آذار في الصوم الماراني.

رئيس لجنة التذكار المئوي
يوسف اديشوع نجار
الرئيس العام على اديرة الكلدان

عن دير السيدة ، القوش : الموصل

فنعم العاطفة عاطفة تكريم شهيد جليل ، ومؤسس فاضل كان بحياته وممانه مثال الرسول الغيور والراعي الصالح . وسيشترك بتلك الاحتفالات لا افراد الطائفة الكلدانية الكريمة فحسب ، بل كل من قدر الفضيلة من جميع الكاثوليك ، ان لم يكن بالحضور فبالعاطفة والشعور.

مطبوعات شرقية جديدة

A. D. Sertillanges O. P. L'orateur chrétien. *Editions du Cerf, Juvisy, Seine-et-Oise. X-439 pp. Prix: 15 f.*

الخطيب المسيحي

هو كتاب يجمع بين اللذة والفائدة وجمال السبك ومتانة التفكير ، فيجدر بكل كاهن ان يجعله في مكتبه. يتحدث فيه المؤلف ، وهو خطيب مشهور ، عما يعرفه ويستعمله باسلوب جذاب يمتلك المطالع في كل صفحة بما يرى في جميع الفصول من ذكر الامور التي شاهدها الكاتب وعرفها بنفسه فعرّفها بدقة وافرة وملاحظات عميقة تدلّ على اختبار طويل واطلاع واسع . وقد قسم الكتاب الى ثلاثة اقسام : خصّ الاول « بكلمة الله » في حدّ نفسها . وذكر مصادرها . والشروط الداخلية في الخطيب المسيحي كالصلاة والتأمل وما الى ذلك . وعدّد في القسم الثاني الصفات المطلوبة من الخطيب متبسطاً في طريقة الحصول عليها ، كالوقفة ، ونوعيّة التنفس الصالح ، والصوت ، ثم الصفات العقلية كالمخيّلة والشعور وخُلق الواعظ . ثم حصر القسم الثالث باستعمال ما تقدّم في ايصال كلمة الله الى النفوس ، وهي غاية الواعظ السامية ، وفي قواعد هذا العمل من ايجاد وتنسيق وتعبير وحفظ واداء . فلم يغفل عن شيء مما يزيد في تأثير الواعظ ومنفعة كلامه . يحلّل كل ذلك بنصائح عملية كثيرة الفائدة للمتمرّنين ، منها ما يشير به في الصفحة ٦٩ ، عند كلامه « عن مسحة الحقيقة والحياة التي تكوّن فنّ كبار الخطباء المبتكرين » وعن الجهد الضروري للوصول اليها ، فيقول : « ان الواسطة كي يتوصل هذا الجهد الى اكثر ما يمكنه من النتائج الحسنة ، هي ان يظلّ الخطيب يفكر بتحقيق مشروع حديث او رسم خطة جديدة لعمل ما . وهكذا تختمر هذه الافكار من تلقاء ذاتها ... فيتوصل الخطيب الى ما كان يسعى اليه ، اذ ان الانسان لا يجد الّا ما يفتش عنه . فينتج ان السرّ في كل ذلك ان يظلّ الخطيب مستعدّاً لقبول ما يخطر على باله ... »

ي. ك.

Raphael Altamira y Crevea: Histoire d'Espagne 1 *vol. in*-16 [*Collection Armand Colin, Paris. Prix, relié* : 12 *f*.

تاريخ اسبانية

لا شك في ان القرّاء يقبلون على هـذا التاريخ اذا ما عرفوا شخصيـة المؤلف وهو استاذ مشهور في جامعة مدريد، ومعروف في فرنسة ايضاً بمحاضراته التي القاها في «مدرسة فرنسة» (Collège de France) وبابحاثه المتعدّدة في المدنية الاسبانية ممّا دلّ على تضلّع وبعد نظر وصحة حكم . وقـد اشتمل كتابه هـذا على التاريخ السياسي لتلك البلاد منذ عهد ما قبـل التاريخ حتى اليوم ، وعلى وصف الحياة الاسبانية في مختلف العصور وصفاً دقيقاً حيّاً . وقد اردفه بذكر الحوادث الاخيرة التي جرّت الى سقوط الملكية وقيام الحكومـة الحاضرة . فاتى جامعاً كل ما يتوق اليه احبّاء الدروس والمطالعات.

Comment juger la sociologie contemporaine. [*Entretiens de Juilly* : *III.*] *in*-12, 245 *pp. Prix* . 12 *f*. *Editions Publiroc, Marseille.*

كيف نحكم على علم العمران العصري

هذا الكتاب مثال لنوع جديد في التأليف اخذ الجمهور يميل اليه من مدة قريبة وهو عبارة عن موضوع واحد يخوض فيه عدة مفكرين فيلمون بجميع اطرافه ، ويعرضون فيه وجهات نظر متعدّدة. ولا يخفى ما في ذلك من فائدة لان من يقلّب شيئاً على جميع جهاته يفهمه اكثر مما لو رماه بنظرة واحدة ، وان شاملة. موضوع الكتاب الحالي علم العمران. والابحاث فيه نتيجـة «محادثات جويللي» التي ذكرنا شيئاً عنها سابقاً (المشرق ٢٧ [١٩٢٩] ٨٧٣ و٢٨[١٩٣٠] ٧١٦) وهي على جانب عظيم من الدقة والوضوح تتفرّع الى اقسام: في موضوع علم العمران ، وموقفه من الدين والعقل ؛ وفي مركز العائلة في عمران الدولة ؛ وفي هل يجب ادخال علم العمران في البرامج الرسمية . وقـد خُتم الكتاب ببحث لجورج گويو (Goyau) المّ فيه بالتجربة التي قامت بها الحكومـة الفرنسوية فارادت ان تدخل في التعليم الرسمي منهاجاً اخلاقياً مستنداً الى علم العمران . ثم اردف بدرس في العقيدة العمرانية والتعليم العمراني في الخارج.

ج. ل.

L'Art Byzantin. [15e *volume de la collection «La Grammaire des Styles» par* Henry Martin.] 16+23-65 *illustrations. Broché*, 10 f°. *Librairie d'Art R. Ducher*, 3 *Rue des Poitevins, Paris*-6e.

الفنّ البيزنطي

هو المجلّد الخامس عشر من مجموعة تلخّص تاريخ الفنّ منذ العصور القديمة حتى القرن التاسع عشر . ولا تخفى اهمية الفنّ البيزنطي في هذا التاريخ العامّ وما كان لـه من سعة الانتشار التي تماثل سعة انتشار الفنّ الغوطي في القرن الثالث عشر . وقد تجاوز تأثيره البلاد التي نشأ فيها حتى تجلّت مظاهره في بلاد روسية ، وبروج ، والدانيمرك ، وعلى ضفاف نهر الرين . ولا تندر في فرنسة الآثار الفنيـة البيزنطيّة التأثر ولا سيما في الوسط والجنوب الغربي منها وقد جمع هذا الكتاب ، فضلًا عن درس عناصر الهندسة البيزنطية وتطوّرها ، درساً دقيقـاً للفسيفساء ، والماجيـات ، والمنسوجات ، والتصاوير وآثار الحفر والنقوش البيزنطية . كل هذا باسلوب غاية في الايجاز وتصاوير وافرة المنفصـة والحسن .

Dr R. Strothmann : Die Koptische Kirche in der Neuzeit. [*Beitraege zur historischen Theologie*, 8] 1932, *VI*, 160 *pp. gr.* 8° *Prix*: *M.* 9, 60. *Tübingen J. C. B. Mohr* (*Paul Siebeck*).

الكنيسة القبطية في ايامنا

ان الاهتمام المتزايد بالكنائس الشرقية في عصرنا يظهر باجلى مظاهره في ما خصّ الكنيسة القبطية . فقد تمدّدت الابحـاث والمنشورات في ذلـك من تقريرات الى ابحاث طويلة (راجع مثلًا بحث الدكتور كليمنس في *Orientalia* بعنوان Dr Clemens, *Glaube und Sakramente der Koptis-christiana* وكان آخرهـا الكتاب الحالي للدكتور ستروثمان خصّه بحالـة *chen Kirche.* الكنيسة القبطيـة في العصر الحاضر . وهو درس دقيق يهتمّ خاصّة باحوال الكنيسة المنفصلة فيصوّر الأزمة الشديدة التي تجتازها اليوم . ولكن المؤلف لا ينسى الكنيسة القبطية الكاثوليكية ، فيشير الى ما فيها من حياة جديدة تظهر بمجالي منهضة وانتشار وتنظيم جديرة بالذكر . ويذكر كذلك سائر الكنائس القائمة في مصر من ارثوذكسية وكاثوليكية .

ج. ل.

BIBLIOTHÈQUE PATRISTIQUE DE SPIRITUALITÉ.

Choix d'écrits spirituels de S^t^ Augustin, *trad.par* **P. de Labriolle.**
Origène : De la prière – Exhortation au martyre, *trad.* **G. Bardy.**
Lettres spirituelles de S^t^ Jérôme. I, La Doctrine spirituelle, *par* **D. Gorce**
Méthode d'Olympe : Le bouquet des dix vierges, *trad.* **J. Farges.**
4 vol. in-16 de* 8, 12, 10 *et* 9 *f°. Prix ensemble* : 35 *f°. Librairie Gabalda et fils. Paris.

مجموعة روحية من آثار آباء الكنيسة

هي مجموعة جديدة غايتها ان تضع بين ايدي المطالعين منتخبات من آثار آباء الكنيسة المشهورين ، ولاسيما ما كان منها جديراً باحياء الحياة الروحية في النفوس . وقد ظهر من هذه المجموعة حتى الآن مجلدات اربعة من آثار القديس اغوسطينوس ، واوريجينوس ، والقديس ايرونيموس ، ومتوديوس الاولمبي ، وهي تبشر كلها بمستقبل باهر للمجموعة المذكورة بما فيها من اتقان وحسن اختيار . ولا غرو فالمنتخبون من اختصاصي هذا النوع الحائزين على ثقة الجمهور ؛ والمنتخب من آثارهم من اشهر مؤلفي عصورهم . واننا نخص بالذكر المجلد الرابع ، وعنوانه «باقة الذرى العشر» ، فانه من اجل الروائع الادبية معنى ومبنى سار فيه المؤلف على اسلوب «باقة افلاطون» مطبقاً ذلك على الحياة المسيحية ، مضيفاً اليه ما ازدانت به نفسه الشاعرة من نزعة سامية الى الكمال الروحي .

ج . ل .

L'Ouvrage géoponique d'Anatolius de Bérytos (IV^e^ siécle) *manuscrit arabe découvert par le* R. P. Paul Sbath. [*Extrait du Bulletin de l'Institut d'Egypte, t. XIII. Session* 1930-1931] *in-8° de* 8 *pp.le Caire,* 1931.

كتاب الفلاحة لانطوليوس البيروتي في ترجمته العربية

هي مذكرة رفعها حضرة الاب يوسف سباط الى المعهد المصري يُشير فيها الى انه اكتشف مخطوطة عربية تتضمن تعريب كتاب الفلاحة لانطوليوس البيروتي . وهو كتاب ضاع اصله اليوناني ، فلا يعرف اليوم الّا بتلك الترجمة التي نشر منها الاب سباط الست الصفحات الاولى .

ه . ل .

القرآن

طبعه محمد المهدي الحلبي

المطبعة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨) — ٧١١ صفحة متوسطة

هي طبعة للقرآن بالحروف المغربية على الورق الاصفر المعهود لا تختلف في شيء عن الطبعات المعروفة . الّا انها بُدئت بفصل قصير في آداب التلاوة مأخوذ من آثار طنطاوي جوهري ؛ وخُتمت بفهرس فيه اسماء السور وعدد آياتها ، وكلماتها ، وحروفها ؛ وزُيّنت بصورتين لمكة والمدينة.

القضايا المستعجلة

تأليف جان باز المحامي

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٢ — ١٤٧ صفحة متوسطة

الاستاذ جان باز محامٍ في مقتبل الشباب ، لم يمضِ سنتان على انهائه درس الحقوق واخذه شهادة الليسانس ، وها هو الآن يصبح مؤلفاً يتحف مواطنيه ورجال القانون بكتاب موضوعه من اهم المواضيع واشدّنا اليها حاجة: القضايا المستعجلة . ان المرسوم الاشتراعي رقم ٦ الصادر في ٣ شباط سنة ١٩٣٠ قد ادخل في شرعنا اصولاً جديدة باعطائه رؤساء المحاكم البدائية صلاحية لتنظر بصورة سريعة غير خاضعة لطرق المحاكمة الاعتيادية في سائر الاختلافات التي ينجم عن التأخير في فصلها ضررٌ فاحش على احد الخصمين ام عليهما جميعاً. فاحوال كهذه مرتكزة على قواعد شتّى ونظريات عديدة مستوردة كلها من الخارج يصعب على جميع الاشخاص المفوّض اليهم تطبيقها والعمل بها من قضاة ومحامين واصحاب مصالح عموماً — ان يستوعبوها نصاً وروحاً بسهولة تامة. فجاء مؤلّف صديقنا الاستاذ باز بوقته وافياً بالمرام. فهو يفصل بصورة دقيقة وواضحة القواعد الواجب اتباعها في القضايا المستعجلة التي ذكرناها . فهذا مؤلف لا يرى بدّاً من اقتنائه ومطالعته كل رجل من رجال القانون . ولا اظن الّا ان كل واحد منهم يرى في هذه المطالعة فائدة محسوسة . فالاستاذ جان باز قد اخذ

على حالته، على ما يظهر، ان يقتفي خطة عمه المرحوم سليم باز الذي حمت مؤلفاته الحقوقية بلاد الناطقين بالضاد فكان ولم يزل لها الفائدة الكبرى في عالم القضاء والمحاماة . فاذا عمد استاذنا الجديد الى اقتفاء اثر عمه وحبس نفسه لخدمة القانون فيمكن لنا ان نبشر لهذا الشاب المجتهد بمستقبل لامع.

اميل تيان

الاستاذ في معهد الحقوق الافرنسي ببيروت

الرحلة الدانتية في الممالك الهوائية : ٢ المطهر

تعريب لاديثينا كوميديا بقلم عبود ابي راشد

٢٩٢ + ٥٥ صفحة متوسطة – طرابلس الغرب ١٩٣١

تقدّم لنا في المشرق (٢٨ [١٩٣٠] ٧١٦) وصف الجزء الاول من هذه الترجمة العربية لذاك الاثر الايطالي الخالد . وقد تابع المعرّب الفاضل اهتمامه بدقة التعريب ، وتعليق الحواشي والشروح الضرورية . فاهدى الينا الجزء الثاني في « المطهر » . على ان ينشر قريباً الجزء الثالث في « النعيم » . فنشكر لحضرة المعرّب جهده واهتمامه ، مكرّرين ما تمنيناه سابقاً من يُفرد ، بعد ان ينتهي من تعريب الملحمة بكاملها ، درساً وافياً لشخصية دانتي الادبية.

هذا وقد اضاف الى الجزء الحاضر عدداً من رسائل عظماء ايطالية ، وطائفة من اقوال الصحف الايطالية والعربية ، وردته بمناسبة نشره الجزء الاول.

ف . ا . ب.

تاج الدين فيما يجب على الملوك

تأليف ابي عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المنيلي

٢٣ صفحة متوسطة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٢

عاش المنيلي التلمساني في القرن التاسع للهجرة (القرن الخامس عشر) ، اولاً في بلاد مراكش ثم في بلاد السودان ، وكان فقيهاً مجتهداً حتى عُدّ من

اكابر علماء بلاده في ذاك العصر . وتجاوزت شهرته المغرب ، فكان بينه وبين بعض العلماء مراسلات ومناظرات ، منهم الامام السيوطي ، المقيم في مصر اذ ذاك . ومن تآليف المغيلي رسالة صغيرة فيما يجب على الملوك سماها « تاج الدين » وقف عليها حضرة محمد زيان بن محمد المأمون وزير كثنه فدققها وطبعها في المطبعة الكاثوليكية . وهي على ثمانية ابواب : فيما يجب على الامير من حسن النية ، وحسن الهيئة ، وترتيب المملكة ، والحذر بالحضر والسفر ، والكشف على الامور ، والعدل في الاحكام ، وجباية الاموال من وجوه الحلال ، ومصارف اموال الله .

ف . ا . ب .

فذلكة تاريخية للكرسي الانطاكي الارثوذكسي

من سنة ١٦٧٢ــ١٨٥٠

جمعها شكري خليل سويدان

٥٢ صفحة متوسطة – المطبعة السورية الاميركية ، نيويرك ، ١٩٣١

هي معلومات تاريخية مجموعة من وثائق مختلفة المصادر ، اتت جزيلة الفائدة ، على ايجازها ، لأن العصر الذي تدل عليه كان عصر تكوين الروم الكاثوليك في طائفة مستقلة . هذا ولا يخفى ان جميع الحوادث المذكورة ممروضة من وجهة الطائفة الارثوذكسية .

ه . ل .

التحفة لسنة ١٩٣٢

١٢٨ صفحة صغيرة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٢ – ثمنها : ١٥ غ . س .

هي المجموعة التي تصدرها « رسالة قلب يسوع » ، محتوية على مختلف الصور ، والفكاهات ، والروايات ، والاشعار ، والالعاب العلمية ، والالغاز ، تفكهةً وفائدةً للمطالعين .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ شباط — ١٥ آذار ١٩٣٢

لبنان وسوريا — اصدر المفوض السامي قراراً يعيّن فيه موعداً للانتخابات التكميلية في دمشق ، ودوما ، وحماه ، ومنطقة حلب البدوية ، وفي عشائر شمر زور. وذلك في ٣٠ آذار للدرجة الاولى ، وفي ٦ نيسان للدرجة الثانية.

* مُدد الاتفاق الجمركي مع شرقي الاردن ومصر الى سنة تنتهي في ٢٠ آذار ١٩٣٣.

* وصل الى بيروت في اول آذار ملك اسبانيا السابق الفونسو الثالث عشر ثم سار توًّا الى بعلبك فالى دمشق . ومن هناك سافر الى فلسطين فمصر وقبرص ... وكان حيث مرّ يتحقّق مجالي العواطف الخالصة.

مصر — احتفل في ٥ آذار بالذكرى العاشرة لاعلان استقلال مصر.

* فُصل الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب عن مركزه وأُلحق بوزارة المعارف . فاحدث ذلك اضطراباً بين التلاميذ والاساتذة ادّى الى استقاء مدير الجامعة المصرية واضراب الطلّاب . وقد قرر وقف التدريس في كليات الجامعة الاربع حتى ٢٠ آذار.

* وقعت معاهدة صداقة بين مصر واوروغواي.

* اكتشف الاستاذ سليم حسن هرماً رابعاً على مسافة ٢٧٠٠ متر غربي ابي الهول.

قبرص — قررت حكومة الجزيرة ان تمنع بتاتاً من النزول اليها كل شخص لا يكون معه مبلغ ٢٠ ليرة انكليزية ما عدا الذين اصلهم من الجزيرة ومن يحملون ترخيصاً خاصاً من الحاكم.

الحجاز — اشتدت الضيقة المالية حتى ان ابن سعود اضطر الى قبول شروط كان قد رفضها من قبل ، وينتظر ان يتم عقد قرض بريطاني يبلغ نصف مليون جنيه.